الجامعة

الجزء الاول — السنة السابعة

مجلة علمية اجتماعية تاريخية ادبية

القاهرة — دسمبر ١٩٠٩ — ذو الحجة ١٣٢٧

مقدمة السنة السابعة

عودة الجامعة الى مصر

عادت الجامعة الى مصر بعد غيابها في نيويورك وأوروبا أربع سنوات الا بعض سنة . وقد نقلت ادارتها من الاسكندرية الى مصر العاصمة وستستمر في خدمة قرائها الافاضل في القطر المصري والخارج على نحو ما اعتادوه منها بحسب طاقتها ومقدرتها . والمأمول ان يديم قراؤها لها ما عودوها اياه من الوداد والاقبال

وقد انقضى الآن على سفرنا من نيويورك عدة اسابيع وكان يجب ان تظهر الجامعة قبل هذا التأريخ بشهر أو اكثر حسب وعدها لقرائها في العدد الاخير الذي صدر منها عن نيويورك قبل سفرنا منها بشهر وفيه خبر انتقالها . ولكن المرض الذي طرأ على شقيقة صاحب الجامعة بعد وصولها الى باريز في طريقنا الى مصر وألزمها الفراش خمسة اسابيع فيها قد أخر وصولنا الى مصر

لما أعلنا في العدد الاخير من جريدة الجامعة الذي صدر في نيويورك قبل سفرنا بشهر خبر عودتها الى مصر انهالت على الادارة في نيويورك رسائل مشتركي الجامعة

وأصدقائها في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا فاجتمع لدينا منها في ثلاثة اسابيع نحو ٨٠٠ كتاب يودع فيها أصحابها الادباء الجامعة توديعاً لا ننساه في حياتنا كلها ويظهرون لها عواطف ودادهم ويطلبون ان يبعث بها اليهم من مصر . هذا فضلا عن ورقة الطلب التي طبعت في الجامعة ليوقع عليها من يروم اقتناءها بعد انتقالها الى مصر وقد وقع عليها معظم مشتركينا الادباء في دار هجرتهم . فحق لهم علينا في أول جزء يظهر من الجامعة بعد عودتها الى مصر ان نثني على ودادهم وغيرتهم وان نؤكد لحضراتهم حرصنا على صلات الوداد والادب التي تمكنت بين الجامعة وانصارها وأصدقائها في اميركا الشمالية والجنوبية بعد معيشتها نحو ٤ سنوات بين ظهرانيهم

وعلى الجامعة ان لا تنسى أيضاً واجب شكرها لرصفائها وأصدقائها وقرائها في الشرق الذين اكرموا وفادتها واستقبلوها بعبارات التنشيط ورسائل الوداد كما يستقبل الصديق القديم صديق قديم صداقته كالخمر تجود مع الزمان كما هو شأن صداقة الكرام

هذا وسيكون ظهور الجامعة مرة في الشهر كما كانت قبل انتقالها الي اميركا ويبقي بدل الاشتراك فيها كما كان ايضاً ثلاثة ريالات في القطر المصري و ٢٠ فرنكا في الخارج

تحية الجامعة للجامعة

في مصر مشروع عظيم نازع الجامعة في اسمها واتخذه اسماً ٠ ولا ريب ان القارئ ادرك اننا نعني المدرسة الكلية العليا التي أنشئت في القاهرة باسم (الجامعة المصرية) Université Egyptienne فمجلة الجامعة تجد شرفاً لها هذه المشاركة في الاسم وتحيي شريكتها فيه تحية السرور والاعجاب بهمة منشئيها الكرام والعاملين فيها ٠ وترجو ان تكون هذه الشجرة الصغيرة الآن بعد زمن قريب دوحة باسقة يستظل بها طلاب العلم والأدب من جميع أنحاء الشرق ٠

هات الحديث

ليس من سلامة الذوق ان تنشر الجامعة في صفحاتها تقريظاً لنفسها سواء كان هذا التقريظ مجاملة من صديق او تنشيطاً وتشجيعاً من احد الافاضل · ولكن القصيدة التالية قد خرجت من عدة وجوه عن كونها تقريظاً او ثناء · وضننا بابياتها المتينة الجميلة ان تلقى في زاوية الاهمال بعد مابذله ناظمها الفاضل من العناء في سبكها واجادة نظامها · ومن جهة أخرى أردنا التعليق عليها · ثم انه قد تحلو مجاملة الادباء بعضهم لبعض وتبادلهم بضاعة الادب وحسن الظن فان في طريق صناعة القلم في الشرق كثيراً من الاشواك فلا بأس ان يكون فيها ايضاً شيء من الزهر · وأعذب الشعر اكذبه كما قيل وان كان صديقنا الناظم الفاضل لا تروقه هذه العبارة · وهذه هي القصيدة التي نحن في صددها وقد وجدناها في شباك البريد في مصر بعد وصولنا اليها

الى الصديق فرح انطون

إن كنت لا تبغي لنفسك راحة ... فأرح مطيك والدنى و بنيها (١)
في كل حين أنت تارك أمة ... ولهى تعالج منك ما يبكيها
لست الذي تسع النفوس فراقه ... والنفس ضائقة بما يؤذيها

***

طفت الهموم فكل قلب مغرق ... فيها وما من دافع يثنيها
شكوى الحزين شرارة من خلفها ... حمم براكين الأسى ترميها
يشكو ليطفئها وليس بواجد ... من لا يهيجها ولا يذكيها
شاك الى شاك وطالب نجدة ... من رازح لا يدفع المكروها
عبث الخلائق بالامور وراءهم ... وجه الصواب فآثروا التمويها

(١) ان المطية لم تتعب ايها الصديق لانها كانت جماداً وهي الباخرة لاتورين التي ركبتها ذهاباً والباخرة لالورين التي ركبتها اياباً · ولكن جمال هذا البيت هو في مبالغته كما هو شأن كثير من ضروب الجمال وخاصة في صناعة الأدب

دنيا يطيش لها الحليم(١) ومعرض يدع المدل بعقله معتوها
جهدي وجهدك ان نعيد شكية كنا نهز الشرق اذ نبديها(٢)

***

هات الحديث.(٣) أكل أرض زرتها مصر وكل الناس مثل ذويها
ضاقت بهمتك البلاد ونوهت فيك الامور بعذرها تنويها
أهلا بمقتحم الوقائع (٤) ترتمي أهوالها سود المشاهد شوها
نبه لنا ملأ العقول فانها في غفلة تتطلب التنبيها (٥)
حسبي وحسبك في المطالب أننا نقضي شبيبتنا ولا نقضيها

---

(١) يجب ان لا يطيش لها بل ان يستأسرها ويدبرها ويسيرها بحسب رأيه ومصلحته. واذا ضعف المرء عن ذلك واكتفى لديها بالصياح والنواح كان الذنب ذنبه لا ذنبها

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

وسيرى الصديق ان هذه المسألة على (بساطتها) انما هي لباب الحياة الاميركية وروحها الحقيقية التي كوّنت امة من اعظم امم الدنيا حديثاً وقديماً ان لم تكن أعظمها كلها على الاطلاق. وسيكون هذا موضع مباحث عديدة في الجامعة مقاومةً للروح الشرقية القديمة التي هي علة جمود الشرق وخموله

(٢) كلا وانما هو يهزنا لا نحن نهزه. وان اقتصر جهدنا على الشكوى دون العمل فهو عقيم لا خير فيه

(٣) حباً وكرامة. وان جمال هذا البيت جعلني اضع العبارة الاولى منه عنواناً لقصيدتك الجميلة. وسيكون حديث هذا السفر طويلاً فارجو ان لا تضجر منه فتقول بعد ذلك (كفانا حديثك) بدل قولك (هات الحديث)

(٤) اعظم واقعة اقتحمتها ايها الصديق هي واقعة الباخرة لاتورين حين قطعتُ عليها الاوقيانوس الاتلانتيكي لاول مرة. فانه مشهور باضطرابه وهوله

(٥) رأيي انها في الطبقات العليا متنبهة فوق ما يجب فهي احوج الى شيء تُعمل فيه يديها وفكرتها منها الى زيادة التنبيه فراراً من ان تصير بهذه الزيادة (كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله) واما الطبقات التي دون تلك فهي ايضاً في اشد حاجة الى العمل لترقي شؤونها بثمرة عملها. والآتي من (بلاد العمل) يرى هذه الحاجة فوق كل حاجة.

*
* *

ذهب الصبى الا علاقة راحل يبغي الذهاب بها ونستبقيها
كان الشباب صحيفة فطويتها وطويت دنياي الحبيبة فيها
كثرت مساوي الحادثات فشوهت ما كان من بهجاتها تشويها
لاأعذل الايام ان قصائدي ملءُ العوالم السن تطريها
الشعر عندي آيتان فآية توحى إلي وآية أوحيها (١)

احمد محرم

بدء الحديث

أسباب عظمة أميركا

وما يجب ان نستفيده منها

أذاك زمن ضائع قال بعض الاصدقاء (ان الجامعة أضاعت اربع سنوات خارج مصر . فلو بقيت هنا لاستفادت أضعاف ما استفادته من رحلتها الى البلاد الاميركية) ولكن هل يقال هذا القول للطالب الذي يدخل مدرسة ويقضي فيها اربع سنوات يتلقى في اثنائها احد العلوم او الفنون . أو الطبيب الذي يتمّ درس صناعته ثم يقصد أوروبا ليصرف في احد مستشفياتها زمناً طويلاً يدرس فيه درساً عملياً ما درسه في مدرسته درساً نظرياً . أو السائح الذي يجوب القفار وينفق الدرهم والدينار ويعاني مشاق

(١) بيتك هذا وحده يعدل قصيدة لجماله وحسن نظامه . فأذن لي بان اختم المقال بهذا الثناء على فضلك وحسن ظنك . ولا تعدّ من سوء الأدب أن صديقاً لك احسنت ظنك فيه واتحفته بشيء من نفيس شعرك اجترأ وواجه بعض ابياتك الحسان بنقد او معارضة . فان هذه هي الطريقة الوحيدة التي امكنني معها نشر قصيدتك لنشر فضلك وشكرك لحسن ظنك بصديقك .

السفر في الليل والنهار ادراكاً للغاية التي من أجلها خرج يضرب آباط المطايا او يركب سفن البحار وقطر البخار . كلا فان جميع هؤلاء لم يضيعوا اوقاتهم سدى . ومن حسن حظ الجامعة انه اتيح لها ذلك السفر البعيد الذي (وسع أفقها) وأراها من ذلك الكون العظيم ما رأت وأسمعها ما سمعت بعد معيشتها الى ذلك العمر في زوايا الشرق الساكنة

قضينا خارج مصر نحو اربع سنوات جلنا في اثنائها في ولايات فرنسا امّ الحرية والجمهورية . وايطاليا أمّ الفنون والجمال . وأميركا الشمالية بلاد العجائب والغرائب . وكندا ملتقى المدنية الانكليزية والفرنسوية . وسحنا مدة اربعة أشهر في ١٢ ولاية من الولايات الاميركية (١) فزرنا كثيرا من مكاتبها ومتاحفها ومدارسها وانديتها ومعاملها ومزارعها ومناجمها ودرسنا شؤون بعض مدنها الكبرى والصغرى درس طالب يأخذ العلم عن استاذ خبير وراقبنا روح الشعب في المدن والقرى مراقبة مستفيد خليّ الذهن يدرس ليتعلم لا ليتحكم . ورأينا في الشوارع والاسواق والمعامل والمخازن — رأي العيان — تلك الاكتشافات والاختراعات الحديثة التي نكدّ الذهن ونتعب البصر والفكر لنستخرج أخبارها من المجلات والجرائد ونحن جلوس في الشرق وراء الدواة والقلم . وشاهدنا عظمتها التجارية والصناعية والزراعية التي لا تجترئ على منازعتها فيها أمة من الامم . وخدمنا في أثناء ذلك اخواننا المهاجرين من الشرق الى تلك البلاد البعيدة الخدمة التي قدرنا عليها فصار اصدقاء الجامعة فيها يعدّون بالمئات واصبح اسمها بينهم هناك في كل شفة وفم .

نقول هذا القول لقراء الجامعة في الشرق الذين لاموها لانتقالها الى تلك البلاد البعيدة ومفارقتها البلاد الشرقية . وغرضنا من بسطه هنا ان نقول لحضراتهم ما قاله الشاعر (وكان شغلي عنك بك) فاننا برحلتنا الى اميركا قد خدمنا نفسنا وخدمناهم وسيرون أثر ذلك في المجلة باذن الله . فلم يضع اذاً ذلك الزمن عليهم او عليها

✻ فلندرس شؤون اميركا ✻ ولما كان القراء يتوقعون ان يجدوا في كل جزء من الجامعة بعد عودتها من اميركا دروساً ومباحث في مدنيتها وعجائبها وغرائبها وشؤونها

---

(١) وهي ولاية نيويورك وكناتكت ورود آيلند وماستشوستس وماين ونيوهمشير (فضلاً عن ولايتي كندا المتاخمتين لها وهما كوبك واناوى) وبنسلفانيا واوهايو وانديانا والنويز

العمومية والخصوصية اي الشؤون التي تشارك اميركا سائر الامم فيها والشؤون التي انفردت واستقلت بها دون غيرها فقد شرعنا ابتداء من هذا الفصل في كتابة مقالات متسلسلة تشرح حالة تلك الامة العظيمة وتظهر أسباب عظمتها وتدل على مايجب ان نأخذه عنها وما يجب تركه اما تركاً دائماً او الى حين ... ولسنا نزعم اننا بما ننشره نكتشف اميركا اكتشافاً جديداً فانها قد اكتشفت منذ زمن بعيد ... واليك مؤلفات سياح اوروبا فانها كثيرة في هذا الباب . على انه من الغرابة اننا لم نقرأ كتابين لكاتبين كتبا في هذا الموضوع الا ورأينا اختلافهما في الحكم على اميركا ورجالها وأشيائها . فمنهم من يمدح ومنهم من يقدح والمنصفون قليلون في هذا كما هم قليلون في كل أمر . اما نحن فسنسلك في هذا الموضوع سبيلاً يرضي اولئك الاضداد ويجعل للقارىء سبيلا الى الاستقلال والاستدلال . وذلك ان نروي اراء الفريقين ونضم اليها ما ارشدتنا اليه اختباراتنا الخاصة فيصبح القارىء وهو قادر ان يحكم بينها بنفسه بحسب رأيه وميله وتربيته .

ان تلك المراجل الهائلة التي تغلي في الطرف الآخر من الكرة الارضية وسط جلبة هائلة هي اعظم جلبة عملية صدرت عن جمعية بشرية في الكرة الارضية — لهي جديرة بالدرس . وابناء الشرق الساكن الهادىء احوج الى هذا الدرس من غيرهم وخاصة في هذا الزمان الذي زحف فيه الغرب على الشرق بخيله ورجله فاما ان يدوسه ويمر في سبيله على جثته كما مر المتأخرون على جثث الامم التي تقدمتهم وساروا في سبيلهم لا يلوون على شيء واما ان يجاريه الشرق ويقتبس نشاطه وقوته وجرأته ونظامه ويسير معه كتفاً الى كتف في سبيل المستقبل فيسلم ويقوى على الحياة (التي تستحق ان تدعى حياة) . وفي اعتقادنا انه ليس في المدنيات الحاضرة مدنية اصولها وقواعدها هي الدواء الشافي لداء الشرق الدفين كالمدنية الاميركية المبنية على تآخي العناصر والجنسيات في ارضها تآخياً فعلياً واتحادها اتحاداً حقيقياً محا الفروق من بينها وجعلها امة واحدة تحت ظل (العمل) الدائم المستمر الذي يشغل المرء عن كل شيء حتى عن نفسه وينقي جو فكره من كل شاغل لايدعي (عملا . وقوة . وحركة . ونشاطاً . وكسباً) وينفره من الجدل العقيم الذي ماتسلط على امة الا افسد امورها طبقاً لما جاء في الحديث (اذا غضب الله على قوم سلط عليهم الجدل) .

وا اسفاه . اين روح العصر ومقتضياته وحاجاته من الروح التي تصورها لنا كتب الدين والآداب والاخلاق الكريمة . اين ما يدرسونه في مدارسنا مما نراه في ميدان الحياة . ان الشرق راقد بسكون على آثاره واطلاله الدينية القديمة البالية وشعاره الاستكانة

والهدوء والاحلام وهو يعلم ابناءه في المدارس ما كان ابناء الغرب يتعلمونه في القرن السابع عشر والثامن عشر من المبادىء والكتب التي تضعف نفوسهم وابدانهم وتجعل جوّ افكارهم بمعزل عن جو الحياة الحقيقي — بينما اهل الغرب يسيرون وشعارهم القوة والنشاط والاقدام قبل كل شيء ويغرسون هـذه الصفات في نفوس أبنائهم بدروس عملية واختبارات شخصية ورياضات بدنية وتربية مستقلة تجعل الفرد قابضاً على زمام نفسه عالماً بجهاد الحياة ومقتضياته وحاجاته قبل دخوله ميدان الحياة ومستعداً لهذا الجهاد اتم استعداد. ونحن لا نقول ان هذه التربية افضل من تلك ولا تلك افضل من هذه فان البحث في هذا بحث في الشرائع الادينية والاجتماعية ومبداء الحياة وغايتها والحكم فيها حكم بين مبدأين يتنازعان بني الانسان منذ زمان وهـذا موضوع ليس هنا موضعه ؛ ولكننا نقول ان روح العصر يقتضي الآن تلك (التربية القوية) وان الشرق اذا كان يكره الموت ويريد الحياة فعليه بازاء الحركة الوضعية التي ملأت آثارها الدنيا وتسلطت (بحق او بغير حق) على جميع شؤون الحياة ان يُقدم على تلك التربية. واذا كانت مذاهبه الدينية (او غيرها) هي التي تحول دون تربيته التربية الجديدة المطلوبة وتجعل نفوس ابنائه ضعيفة منصرفةً عن العمل الى الجدل وتفني ما فيها من نشاط وقوة اذ تحولها احلاماً واوهاما وتمنع ابناء الوطن الواحد من ان يتحدوا ويعيشوا كامة واحدة جميع قوى أبنائها منصرفة الى زيادة منافعهم ومرافقهم بدل انصرافها الى منازعة بعضهم بعضاً منازعة تضعفهم جميعاً ولا يستفيد منها الاّ الأجنبي — فعليه (اي الشرق) ان يضع الدين جانباً في مكان مقدس محترم لا يتعداه —ولا اكرم من الكنائس والجوامع— وينبذ بلا شفقة ولا رحمة كل عثرة تعترضه في هذا السبيل وان استهدف لأعظم المقاومات. ولا نضمن بعد هذا ان يكون الكون افضل مما هو الآن ولكننا نضمن ان الافراد يكونون اقوى ونكون نحن الشرقيين اقدر على منازعة ضيوفنا وجيراننا البقاء والمعيشة بجانبهم في بلادنا دون ان يأكلونا أو يستغرقونا. وهب ان تلك التربية القديمة افضل واجمل فاننا احوج الآن الى هذه التربية الجديدة التي هي سلاحنا الوحيد في الدفاع عن انفسنا وحفظها. والاّ فكل صراخنا وعويلنا لا يفيدنا شيئاً مادام الحق للقوة في هذا الطور البشري. والله أعلم متى يصبح الحق وهو قادر على ان ينتصر بنفسه دون ان يعتمد على قوة تنصره غير قوته الذاتية.

فلندرس اذاً معاً مبادىء المدنية الاميركية التي هي الآن اشد المبادىء البشرية جمعاً بين القوة والنشاط والعمل والحركة. المبادىء التي هي الآن (استاذة) النشاط

في العالم أجمع ولديها يقف الاوروبيون انفسهم حيارى مدهوشين . ندرسها لا لنعجب بكل ما فيها فان لها سيئات كما لها حسنات ولكن ندرسا لنستمد من روحها وحي النشاط والقوة الذي امتازت به ونحن الآن في هذا الطور من مدنيتنا (او ابتداء مدنيتنا) في حاجة الى هذا الوحي كما كنا في ماسبق في حاجة الى ذاك . ولو ادرك اليوم نيبتش مدنية اميركا ودرسها بنفسه درساً دقيقاً لظنّ ان القوم في كثير من مسائلهم انما يعملون بمبادئه ولجعل بطله (زاراتوسترا) القائل يتنبأ ان الانسان الذي صوّره (فوق الانسان) ودعا الى ايجاده في جميع كتبه سيكون منبته في الولايات المتحدة ... اذا استمرّ ارتقاؤها مطرداً

وصف شعري ولكن قبل ذلك :

يقولون لي صفها فانت بوصفها خبير — أجل عندي باوصافها علم

وحيث وجهنا السؤال هنا شعراً فلنجعلن الجواب شعراً ايضاً ... وهي ابيات نظمناها في اثناء سياحتنا في الولايات المتحدة بين جبالها واوديتها وسهولها وحزونها ومدنها وقراها فانظر الى معاني الابيات لا الى الفاظها لان النظم هنا كنظم كل من اجترأ على الشعر وهو ليس من أهله فنظمَ قصيدة كانت (بيضة الديك) العمر كله .

عجْ بالجبال ولا تعجْ بالوادي ان شئت رؤية هذه الامجادِ
واركبْ لها قطر البخار فقدمضى عصر النياق وصوت ذاك الحادي
العيس بادت والطلول عفتْ فما يُلفى لها من نادبٍ أو هاد
واطلب اليها ان تطير ولا تقل (مهلا فانك سائر بفوائدي)
الوقت مالٌ والزمان زمان ركض لا زمان تخنث ورقادِ
وتداعبٍ في (الرقمتين) و(حومل) و (السقط) أوفي الندب والتعدادَ
الوقت وقت ارادةٍ صماء تصــرع كل معترض سبيل جهاد

* * *

ولقد صعدتُ الى الجبال أرى الورى واقيس حالهمُ بحال بلادي
فبدت لي (الارض الجديدة) (١) مثلما تبدو المدينة من ذرى منطاد
وتمثلت لي بين اتلانتيكها ذاك العجاج وبين ذاك (الهادي) (٢)
كعوالم من غير دنيانا بدت تزري ببابل أو بذات عمادِ

(١) الارض الجديدة اميركا (٢) الهادي الاوقيانوس الباسفيكي

شعبٌ عظيم هائـل متفرق في واسع الاغوار والانجاد
مدن كما انتثرت نجوم القبة الزر قاء او كالرمـل في التعداد
والله لا ادري أأسهـل ان اعـدّ بلاد هـذا الشعب عـدّ سداد
او ان اعدّ شعوبه (١) وكلاهما صعبٌ وفيه حـيرة المرتاد
في الشرق بيروت وقاهرة ولكـن كم هنا تلقى (٢) من الاضداد
في الشرق لبنان وحيد انما كم ههنا من شامخ الاطواد
في الشرق ارضٌ قُـدستْ بنبوةٍ ظهرتْ بها قدماً وغاب الهادي
وهنا أراضٍ قدّستْ بالاهة الحـرية القصوى وهـديٌ بادِ
هذي شرائعنا الجديدة فانظروا آثارهـا يا معشر الزهـاد
شرع جديد لست ازعم انه ابهى وأجمل من شرائع عاد (٣)
لكنني لا استطيع اذا رأيت جميله في الـبرّ والاسعاد
ونظام عيش الناس فوق سهولة الكسب الجزيل وأمن كل معادي
ووداد أقوام يؤالف بعضهم بعضاً بلا ضغنٍ ولا احقـاد
ان أنكر الشمس الجلية في الضحى واقول خير الشرع شرع الفادي (٤)
او شرع ذاك المرسل الغازي الذي ملأ الورى قسطاً وحسن ايادي (٥)
أو شرع ذاك الصالح المقطوع في حرش يسائل ربه وينادي (٦)
مات القديم فكفنوه فما له ما بيننا من رجعةٍ ومعادِ
الارض تحتاج (الارادة والعزيمة والنشاط) وليس وحيَ الدين والارشاد (٧)
فبها ارتقتْ هـذي البلاد وانها مرقاة كل تمـدن وبلاد
هذا كلام نبيتش ان نبيتش كان مقـوّم المعوجّ والمنئـادِ
في زعم بعض الناس اما مـذهبي فيه فابقيـهِ الى ميعادِ

﴿ اسباب عظمة اميركا ﴾ اول شيء يتبادر الى الذهن هذا السؤال وكم من مرة القاه علينا بعض الادباء في الولايات المتحدة . وهو: « ماهي الاسباب الرئيسة التي جعلت

(١) جميع اجناس البشر موجودة في الولايات المتحدة (٢) اي هي تلقى (٣) اي الشرائع القديمة كقدم عاد (٤) المسيح (٥) محمد (٦) بوذه (٧) هذا الكلام منظوم عن لسان الفيلسوف نيتشه لا عن لسان الناظم

اميركا في مائة سنة في المنزلة التي بلغتها ولماذا اختلفت مدنيتها عن مدنية اوروبا مع ان الاميركيين اوروبيون اصلاً · ومن اين جاءوا بتلك الصفات المدهشة صفات النشاط البالغ حده والقوة العملية التي ليس مثلها قوة حتى في وطنهم القديم نفسه (اوروبا) · وبعبارة أُخرى ماهي الاسباب الخفية التي جعلت اميركا اميركا كما نراها الآن)

على ان الجواب عن هذا السؤال جدير بان يكون في خاتمة مباحثنا في اميركا وشؤونها لانه عبارة عن اجمال لجميع مدنيتها · ولكننا قدّمناه خاصةً لنبسط للقارىء ذلك الاجمال قصد ان يلمّ بخلاصته اولاً تأييداً للنظريات التي نشرناها في ما تقدم

تعرو مريد الكلام عن اسباب عظمة اميركا في مقالات مختصرة حيرةٌ حين شروعه في بسطها · ذلك لان الكلام عنها يتناول الاسهاب والاسهاب من شؤون الكتب والمجلدات · فنكتفي بالاشارة الى اهم تلك الاسباب

١ — واول تلك الاسباب ثروة الارض في الولايات المتحدة ونريد بالارض هنا (ما على سطحها وما تحته) اي خصب التربة والمعادن · فان الطبيعة خصتها من سان فرنسيسكو حتى نيويورك (١) ومن شيكاغو الى تكساس بخصب زراعي ومعادن مدفونة لم تخص بها ارضاً سواها · واذا قيل ما سبب هذا التخصيص فالجواب ان سببه العوامل الجيولوجية والارض لا تزال عذراء واكثرها غير مأهول لم تمد اليه يد الانسان بعد خلافاً لارض اوروبا التي ضعفت وهزلت لكثرة العمل فيها وكادت تنفد منها معادنها · فانه في بعض النواحي كولاية بنسلفانيا المشهورة بكونها بلاد المعادن يكفي في استخراج الغاز من الارض ان تغرس فيها اسطوانات معدنية فيجري الغاز منها · ومنابع البترول التي اغنت ركفلر وشركاءه اشهر من ان تذكر وهي في الارض كانهار تجري على عمق يتراوح بين ١٠٠ و ٩٠٠ متر تحت سطح الارض وتنساب في اسطواناتها المصنوعة لها على مسافة مئات من الاميال جارية الى مخازن الشركة · وبجانب ينابيع الغاز وينابيع البترول معادن الفحم على جميع انواعه والذهب والفضة والقصدير والرصاص والنحاس الخ · وليس ظهر الارض باقل ثروة من بطنها · فقد شاهدنا في مكتب الحكومة الاستعماري في منتريال (كندا) قمحاً ارتفاع سوقه كارتفاع الانسان · وخصب الارض في ولايات كاليفورنيا واوهايو ولوزيانا وتكساس امر مشهور · وحسبك زراعة القطن الاميركي المشهور في لوزيانا

---

(١) اي من شاطئها الغربي في الاوقيانوس الباسفيكي الى شاطئها الشرقي في الاوقيانوس الاتلانتيكي

ونكساس الذي تعتمد عليه معامل اوروبا و يرقص بورصاتنا في مصر وتجارها وسماسرتها ومن التف حولهم تارةً الفالس وطوراً البولكا · وحيواناتها ومواشيها متعددة الاجناس كثيرة التوالد في مراعيها الخصيبة المتسعة التي لا يدرك الطرف آخرها · واحراشها هائلة لسعتها وكثرتها وضخامة اشجارها وحسبك منها الاشجار المشهورة في كاليفورنيا بان عمرها ثلاثة آلاف سنة وقد عاصرت اليونان والرومان الاقدمين (١) وانهارها اعظم انهار في الدنيا

ففي ارض اميركا مجموع المادة الاولى الضرورية لثروة الامة وعظمتها · فما يعوز سكانها لينهضوا و يعظموا ؟ لا يعوزهم الا همة وخبرة · وقد تمت لهم كما ترى في مايلي

٢ — كانت طائفة البيورتين اوّل من هاجر من أوروبا الى اميركا فراراً من الاضطهاد الديني ورغبةً في ان يعيشوا مستقلين بعاداتهم وشرائعهم في ارض ليس فيها لاحد سلطة عليهم· ثم لما عمروا المدن وقطعوا الغابات وانشأوا الحقول وصارعوا الطبيعة والحيوانات الوحشية اخذ ينضمُّ اليهم كل من ضاقت به أوروبا لاشتداد الفقر فيها · فالمهاجرة الى اميركا كان اصلها امرين · الاول الفرار من الاضطهاد الديني والثاني ضيق اوروبا عن اهلها وفقرهم · وغنيٌّ عن البيان ان الذي ذاق عذاب الاضطهاد الديني ينفر منه وهذا اصل تأسيس التساهل الديني في اميركا · فان أولئك السذج الكريمي الاخلاق الذين فضلوا احتمال النفي والعذاب على الرجوع في معتقداتهم كرهوا ان يجترموا نفس الجريمة التي اجترمها وطنهم الاول وافادهم اختبارهم فيه وهذا منشا التساهل الديني الاميركي · وقد قلنا ان السبب الثاني الذي دفع المهاجرين الاولين الى المهاجرة هو الفقر وطلب الرزق لضيق وطنهم الاول بهم فنشأ عن هذا انهم انصرفوا بكليتهم الى العمل في دار هجرتهم وتركوا المنازعات القديمة رغبةً في السعة والكسب· فالنقيصتان اللتان كانتا سبب هجرتهم كانتا ايضاً من اعظم اسباب نهضتهم ووحدتهم

٣ — وكان المهاجرون الاولون الى اميركا خليطاً من الانكليز والفرنسويين والالمانيين والاسكوتلانديين والايرلنديين والايطاليين والنمساويين الخ ·· وكل واحد منهم يحمل في نفسه فضائل ونقائص بني جنسه · الاّ ان اختلاط دمائهم بالزواج أولد منهم نسلاً جديداً بعيداً عن النسل الاوروبي · وكان العنصر الانجلوسكسوني كثيراً بينهم فاتخذ

(١) اسمها عندهم (بيك تريس) اي الاشجار الكبرى ولكن اسمها العلمي Sequoia gigantea او wellingtonia

نسلهم كثيراً من اخلاقه الجدية وثباته في العمل · ثم انهم بلغوا اميركا وهي صلعاء عذراء فكان على الواحد منهم ان يكون حطاباً يقطع الاشجار لينشيء حقلاً ومزرعة يعيش فيها وبعد ذلك يحرث الارض و يزرعها ومرتاداً يذهب لاكتشاف ارض جديدة له وجندياً لمحاربة الوحوش التي تسطو عليه وعلى مزرعته واللصوص الذين يطمعون في سلبه وتاجراً لبيع حاصلاته الخ. فكان الواحد يعمل صنوفاً كثيرة من الاعمال التي توزَّع عادة على كثيرين في الهيئات الاجتماعية المنتظمة وهذا الجمع بين اعمال عديدة أنشاء في ذلك الجيل ونسله قوة جديدة لم تكن له من قبل · ولما كان ذلك الجيل قد اقتبس من اوروبا وطنه الاول جميع اختباراتها وطرق معيشتها أُخذ ينفذ في وطنه الجديد تلك الاختبارات والطرق التي كان قد اقتبسها و يزيد عليها مايراه

٤ — وكان البناء في وطنه الجديد سهلاً · اولاً لان المادة الاولى التي تنشا الامم بها ونعني ثروتها الطبيعية موجودة بغزارة في الارض كما تقدم وثانياً لانه ليس في تلك الارض تقاليد ومنازعات واختلافات سياسية او دينية تحول دون البناء على سنن العقل والعدل حسب مصلحة الباني ورأيه · وبينما كان الشعب الاميركي يبني ويعمل ولا تقليد يعارض عمله وبناءه كانت اوروبا تتنازعها الأحزاب وأغراضها والمذاهب وتقاليدها والحكومات وتخاصمها والثورات الداخلية والحروب الخارجية · ألا ترى ان الحكومة مفصولة عن الكنيسة في اميركا منذ زمان وقد انفصلت بلا ضوضاء ولا نزاع · ولكن لما فصلت الحكومة عن الكنيسة في فرنسا منذ بضعة اعوام كادت الاحزاب تخرب فرنسا ولا يزال النزاع في هذه المسألة مستمراً (راجع منشور الاساقفة الفرنسويين في الشهر الماضي)

٥ — وارض اميركا واسعة فانها تعول الآن ٨٥ مليون نسمة وهي قادرة على ان تعول ٢٥٠ مليون نسمة · فان مساحة ولاية تكساس وحدها أكثر مساحة من فرنسا وليس فيها الا جانب منها مأهول ومزروع · وقد حسبوا فوجدوا ان لكل عشرة انفس في اميركا كيلو متر مربع من الارض مع ان مساحتها اضعاف اضعاف مساحة فرنسا او انكلترا مثلاً ولا يسكن في الكيلو متر من ارض فرنسا اقل من ٧٥ نفساً وفي انكلترا للكيلو متر المربع ١٤٠ نفساً هذا مع كون عدد سكان كل من انكلترا وفرنسا نصف عدد سكان الولايات المتحدة · فبقي اذاً ان الارض التي يمكن ان يتمتع بها ٢٥٠ مليون نسمة ملقاة بين ايدي ٨٥ مليون نسمة فقط فهي تزيد عن حاجاتهم وهذا سبب من أسباب سعتهم ·

٦ — ولما كانت الارض تحتاج الى السكان هذا الاحتياج لتعميرها واستثمارها كانت

المهاجرة اليها قائمة على قدم وساق من جميع اقطار العالم · ففي كل عام يدخل الى اميركا من المهاجرين مليون نفس وزيادة · وبعض الولايات الاميركية تنفق الوفاً من الريالات على الاعلانات في الجرائد لتجتذب المهاجرين الى ارضها وتخصهم بامتيازات كانتقاص اجرة سفرهم اليها في السكك الحديدية وسهولة ادخالهم في الجنسية الاميركية وما أشبه. وحسبك ان تقف على تأريخ عمران مدينة شيكاغو لترى العجب من هذا القبيل · كان عدد سكان مدينة شيكاغو في سنة ١٨٣٧ نحو اربعة آلاف نفس · وفي سنة ١٨٧٠ بلغوا ١٠٠ الف نفس · وفي سنة ١٨٩٠ جاوزوا مليون نفس واليوم كادوا يبلغون مليوني نفس · اي ان عددهم زاد في اربعين سنة عشرين ضعفاً فبعد ان كان ١٠٠ الف اصبح مليونين · فتأمل · وهذه المهاجرة من أعظم اسباب عمران اميركا ·

٧ — قد خطر لنا في ذات يوم ونحن في اميركا ان نكتب فصولاً عنوانها (الامور التي تحبب اميركا الي والامور التي لاتحببها الي) وكان في نيتنا ان نجعل في مقدمة الامور المحببة فتح اميركا ذراعيها للمهاجرين اليها من جميع أقطار العالم على شرط ان يكونوا اصحاء الابدان والعقول ومحبين للعمل فلا يكونوا عالة على خزينتها بعد دخولهم بلادها · ولا تكتفي بان تفتح لهم ذراعيها بل تتخذ اصغرهم كاكبرهم واحقرهم كاعظمهم ابناً لها تكتنفه بحمايتها وجنسيتها اذا اقام خمس سنوات في ارضها وطلب ذلك اليها · فيصبح وهو المهاجر الصغير الحقير ابناً للبلاد شريكاً لروزفلت وتفت وبراين وركفلر في حقوق الحكومة والامة له مالهم وعليه ما عليهم في وسط (كله غريب ولا غريب فيه) لان جميع الامة اصلها غريب · وهذا هو السبب في حب الغرباء لاميركا وحرصهم على مصالحها بعد دخولهم في جنسيتها كحرص الاميركيين انفسهم · ان روزفلت هولندي الاصل وكفى · وجميع ابناء الغرباء الذين يولدون في اميركا حتى ابناء الانكليز والفرنسويين والالمان انفسهم يتعلقون باميركيتهم ويحبونها ·فسقياً سقياً لك ايتها الارض العظيمة الهائلة التي فعلت ما لم تقوَ الآلهة على فعله في الارض وهو مزج الجنسيات والعناصر المختلفة وتأليف أمة واحدة منها · ويحق لاميركا الفخر بمدارسها وعلى الخصوص مدارسها الابتدائية الالزامية التي هي وحدها فعلت هذه المعجزة · واذا كان احد في الشرق يعارض في ادخال هذه الطريقة المدرسية اليه (على شرط ان يراعى فيها جميع اصولها مراعاة مطلقة) فما هو بناصح ولا مريد له الخروج من وهدته القديمة

٨ — ان اتساع البلاد يقتضي كثرة الايدي التي تعمل فيها لتتمكن من القيام بحاجاتها

ولما كان عدد السكان قليلاً بالنسبة الى اتساع الارض وكثرة حاجات السكان فقد نشاء عن ذلك ارتفاع الاجور حتماً ٠ ورب عامل في عزق الثلج في شوارع نيويورك اجرته ثلاثة ريالات فى النهار (١٥ فرنكاً) وخمسة ريالات في الليل ٠ وارتفاع الاجور يجتذب المهاجرين من جميع الاقطار ويمكنهم من أن يعيشوا في شيء من السعة معيشة نظيفة منظمة وان يتزوجوا ويربوا اولادهم ويعلموهم ٠ فارتفاع الاجور يعمر اميركا من جهة ويرقي شؤون العملة من جهة أخرى ٠ ثم كم من الاغنياء ككرنيجي وغيره اصبحوا من اصحاب الملايين وكانوا منذ سنوات عملة وأثروا باحدى طرق الاثراء الكثيرة هناك ٠ وفكرة الاثراء العاجل تملأ مخيلة كل من يعيش في اميركا للسبب الذي تقدم ٠ وعندهم في هذا الصدد عبارة مشهورة وهي (انني اتوقع تشانش) اي فرصة ٠ وارتفاع الاجور مع هذه الفكرة هما السبب في ضعف شوكة الاشتراكية في اميركا وعدم تأثير الاشتراكيين في الشعب ذلك التأثير الهائل الذي لهم في اوروبا وخاصة في فرنسا والمانيا حيث العملة في فقر مدقع . فرب عامل في فرنسا او المانيا اجرته في الشهر اربعون فرنكاً ينفق منها هو وزوجته واولاده مع ان اصغر واحقر عامل في اميركا لا يرضي هذه الاجرة في اسبوع

٩ — وارتفاع الاجور ينتج غلاء المعيشة وكثرة النفقة بحسب ناموس الأخذ والعطاء ٠ فينفق المرء عن سعة ليتمتع بثمرة كسبه ٠ فينتج هذا التمتع زيادة في النفقة ايضاً ٠ ويصبح همُّ الناس في زيادة الكسب ليقدروا على تلك النفقة والا ديسوا دوساً فتشتد عزيمتهم في العمل لزيادة كسبهم واتقاء الحاجة . ومصيبتهم هذه من اسباب نشاطهم وقوتهم ٠ ورب شرٍ أنتج خيراً

١٠ — أضف الى تأثير الوسط في هذا الزحام الهائل تأثير الجوّ ايضاً وهو ما يسمونه (تاثير الاقليم) ٠ وهذا التأثير ظاهر كل الظهور في انحاء الولايات المتحدة نفسها ٠ فانه لا يخفى ان في هذه الولايات اربع ساعات كل ساعة متأخرة عن الأخرى ساعةً ٠ وبعبارة أخرى نقول ان فيها الصيف والشتاء والربيع والخريف في وقت واحد ٠ فبينما يكون الزمهرير في ولاية نيويورك الشرقية يكون حر الصيف في ولاية تكساس الجنوبية واعتدال الربيع في ولاية كاليفورنيا الغربية . والولايات الباردة الشرقية (نيويورك بنسلفانيا اوهايو ماس الخ) هي الولايات الاكثر عمراناً والاعظم مدنيةً والاشد نشاطاً وقوةً ٠ وكما خصت ارض الولايات المتحدة بصفات جيولوجية ومتريولوجية ليست لغيرها (١) قد خُصَّ جوها أيضاً

(١) سنشرح ذلك في اثناء الكلام عن غرائب ارضها وعجائبها كالبحيرات والانهر

بصفات غير اعتيادية ٠ فان الطبيعة فيها شديدة قاسية وأحداثها تتخذ صوراً هائلة . فالزوابع تشتد فتخرب عشرات من البلدان في يوم واحد والارض تزلزل زلزالها فتهدم مدينة كاملة (كسان فرنسيسكو) ٠ والناس يموتون في الصيف من فرط الحر وفي الشتاء من شدة القر ٠ لجو كهذا الجو يساعد (مبدأ الانتخاب الطبيعي) فلا يعيش فيه الا الاقوياء الاصحاء ٠ وهو يزيد قوتهم وصحتهم متى احتملوا المعيشة فيه ٠ و بالتالي يزيد نشاطهم ٠

١١ — بقيت هناك أسباب أخرى عديدة نجملها هنا اجمالاً لان تفصيلها سيرد في أثناء كلامنا على عظائم اميركا وعجائبها فضلاً عن ان تفصيلها يطيل الموضوع اطالة لاتحتملها فصول المجلات ٠ فمنها (اولاً) المدارس الابتدائية الالزامية التي تمزج ابناء جميع العناصر والمذاهب وتجعلها امة واحدة (انظر الفقرة السابعة) والمدارس العليا العلمية والصناعية والتجارية والزراعية التي تكمل فعل المدارس الابتدائية وذلك بتعليم أبناء الامة تعليماً عملياً يطلق ايديهم وعقولهم معاً لا كأكثر مدارسنا الشرقية التي (تطلق العقول وتغل الايدي) ٠ ومنها (ثانياً) تقديس مبداء العمل وعدم الاستحياء فيه ٠ وهذه مزية كبرى لاميركا واهلها والمهاجرين اليها ٠ فان المهاجر الاديب المهذب في المدارس يستحي في بلاده ان يكون مثلاً عاملاً في احد المعامل ولكنه في اميركا يرى ان روح البلاد كلها عمل في عمل وكل عمل شريف عند أهلها حتى اصغر الحرف والمهن فتسري اليه هذه الروح ويعمل مع العاملين وان لم يعمل طوعاً عمل كرهاً فراراً من الفقر ٠ كان في الباخرة التي سافرنا عليها من اوروبا الى اميركا شاب مهذب فرنسوي فبعد وصولنا الى نيويورك باسبوع وجدناه يخدم في مطعم فرنسوي مشهور هناك وقد احفى شاربيه الجميلين وهو يكسب من راتبه ومن هبات المترددين على المطعم ٢٥ جنيهاً في الشهر . ثم كم من مرة رأينا سائق عربة شحن قذر اللباس واليدين تحييه في الشارع بابتسامة ونظرة فاتنة فتاة انيقة اللباس وشيقة الحركات يطلع البدر من قميصها فكانها من طبقة السيدات المترفات ولكنها

المعدنية الباخرة على الدوام ومغارة مموث المشهورة في ولاية كنتكي وطولها ثلاثمئة كيلومتر في جوف الارض وفيها آكام واودية ودهاليز وشقوق وساحات ولم يكتشف بعد الاجانب منها ٠ والاخاديد المنفرجة في مكان واحد تلفظ على الدوام ليلاً ونهاراً بخاراً وغازاً وماء بدرجة الغليان ٠ وتمخض ارضها بلا انقطاع تقريباً كأن اعصابها اعصاب فتاة شديدة التأثر لم تخمد الايام حدتها بعد ٠ وغير ذلك من الغرائب التي يلذ تفصيلها . والسياح يقصدونها افواجاً لمشاهدتها ٠

في الحقيقة صديقته او صديقة اخته او خطيبته او اخته او قريبة له . فهذا السائق يداه في النهار في العمل الخشن الشاق الذي ليس بالنظيف ولكنه بعد انصرافه منه شاب يسكن بيتاً نظيفاً و يعيش معيشة نظيفة مرتبة و يقرأ الجرائد والمجلات و يتردد مع خطيبته على المراسح والمتنزهات بملابس نظيفة جميلة كأنه (خواجا اوافندي) كما نقول في بلادنا. ومنها (ثالثاً) تعريفتهم الجمركية المشهورة التي بنت في بلادهم دون السلع والبضائع الاجنبية سوراً من حديد فراجت عندهم مصنوعاتهم الوطنية رواجاً عظيماً امكنهم معه ان يتحكموا في رفع اثمانها وزيادة اجور عملتهم وربح الارباح الطائلة . ومن البضائع الاجنبية ما يضربون عليه في الجمرك ٦٠ في المائة ضريبة ليؤذن بادخاله . فانجزر مد البضائع الاجنبية عن بلادهم ونمت صناعتهم بهذه الحماية الهائلة التي يمكنهم معها ان يبيعوا مصنوعاتهم في بلادهم باثمان ارخص من المصنوعات الاوروبية التي تضرب عليها تلك الضريبة . وبسبب نمو صناعتهم كثرت مصنوعاتهم وحاصلاتهم فعظمت تجارتهم واصبحت تلتمس لها منافذ الى الخارج وتزحم تجارة العلم اجمع . ومنها (رابعاً) عنايتهم بتقوية أبدانهم كعنايتهم بتقوية نفوسهم وعقولهم وذلك بالرياضات والالعاب البدنية في المدارس والكليات والاندية الخصوصية والساحات العمومية . وكثيرون ينسبون النشاط الاميركي وقوته الى تعلقه الشديد بهذه الرياضات والالعاب وهذا موضوع سنفرد له فصلاً خاصاً لانه من الاهمية بمكان . ومنها (خامساً) حكمهم انفسهم بالطريقة الوحيدة التي تنطبق على اخلاقهم ومبداءهم الاستفرادي (اندفيديواليسم) ونعني بها طريقة الاستقلال الاداري لكل ولاية من الولايات . فان لكل ولاية مجلسين نيابيين ودستوراً خاصاً بها وما الحكومة العليا في واشنطن العاصمة ومجلسا الشيوخ والنواب فيها الا واسطة بينها اي بين ولاية و ولاية من جهة و بين الولايات كلها وسائر الدول من جهة اخرى . — وفوق ذلك كله نعمة الحرية المطلقة الى اقصى حدودها — وعلى الخصوص الحرية الشخصية وفضيلة الاعتماد على النفس اللتان تبثان في نفوس الناشئة منذ الصغر فتكونان (كالنقش في الحجر) . فانك اذا عاشرت فتيانهم وفتياتهم عليك ان تسلك معهم كما يسلك مع الكبار لا مع الصغار لاعتدادهم بانفسهم واستقلالهم ومعرفتهم حقوقهم . وقلما تكتسب ثقتهم و ودادهم وصداقتهم بالهدايا والالاعيب كما تكتسبها بمراعاتك استقلالهم الشخصي واكرامهم كما يكرم الكبار .

فلهذه الاسباب كلها نشأت في الولايات الاميركية المتحدة امة نشيطة قوية صرفت همها الى العمل وكسب المال لتعيش في سعة وسعتها هذه جعلت شعبها رضيّ

الاخلاق مطمئناً ساكن النفس (طيب القلب) مستقيم الطباع لسذاجته بل اشد استقامة من شعب اوروبا كما ذكر بعض السياح الاوروبيين في كتبهم . ولما كان همُّ كسب المال مقدَّماً لدى الاميركيين على كل همّ اصبحت قيمة الانسان عندهم ما (يكسبه) لاما (يحسنه) كما قال الشاعر العربي . وفي الحقيقة ان (الكسب) و (الاحسان) في اميركا امران قلما يلتقيان . فكل شيءٍ يُعمل فيها انما يُنظر الى سرعة عمله وعظمته وضخامته لا الى اجادته واحسانه واتقانه . الاتقان ؟ ليس لديهم وقت للاتقان . وهب ان لديهم وقتاً لذلك وقوة عليه فهم لا يضيعونها في هذا الاتقان لان الغرض كسب المال من ذلك العمل لا اتقانه لذاته والبلوغ به الى اقصى حدود الاجادة . فكأنهم في جميع أعمالهم قوم على سفر عليهم انهاء عملهم قبل السفر . انظر الى آلاتهم الصناعية التي يصنعونها وسلعهم وسائر مصنوعاتهم وجرائدهم وآثار مصوريهم وكتابهم ترَ على كل ذلك أثر السرعة والضخامة والعظمة وعدم المبالاة بالاتقان . والغريب انهم قدروا حتى الآن بهذه الطريقة على انشاء أعظم صناعة وتجارة وزراعة قامت في العالم . ولكن اذا كانت هذه السرعة والعظمة والضخامة لم تُكسبهم حتى الآن جمال الاتقان الفني فانها طبعت في نفوسهم طابع النشاط والقوة والعظمة وجعلتها خلقاً لهم . ومن يعلم ان هذه القوة والعظمة والنشاط لا تضعف متى بلغوا طور الاتقان وتخللت نفوسهم تلك النحافة والرقة والكياسة الملازمة لجمال الفنون . أليست هذه الصفات الجميلة معدودة منذ الآن لديهم ولدى بعض المفكرين هرماً وفقدَ حيوية ؟ ... الا يستشهدون على ذلك بقولهم ان الثمرة لا تحلو وتجود الا قبيل سقوطها ...

ولكن الولايات المتحدة لم تعظم تلك العظمة للاسباب التي تقدمت لو لم يكن هنالك سبب آخر لم نشر اليه بعد . وهو انفرادها في قارة اميركا وعدم وجود جيران لها اقوياء ينازعونها البقاء و يضطرونها الى التسلح وتجنيد شعبها للدفاع عن نفسها . فانه بينما كانت اوروبا تنوء بحملها الثقيل (السلم المسلح) وتنفق ما في خزائنها من المليارات على هذا التسليح كانت الولايات المتحدة تنفق ما في خزائنها على اصلاح احوال شعبها . ان جيش فرنسا العامل في زمن السلم ٥٠٠ الف رجل وجيش الولايات المتحدة العامل ٦٠ الف رجل ... مع ان عدد سكانها ضعف عدد سكان فرنسا ومساحة ارضها اضعاف ارض هذه . وان الجيش الاميركي العامل لا يزيد عدده عن عدد جيش ركفلر فان لدى ركفلر ٦٠ الف مستخدم يستخرجون له زيت البترول من ارض الولايات المتحدة .

* * *

طال هذا المقال فوق ما أردنا وقد كتبناه وهذه التذكارات كلها ما زالت حديثة العهد في نفسنا .وقد صرفنا في كتابته ثلاثة ايام استعدنا فيها في الذهن جميع شؤون الولايات المتحدة وتذكاراتها شأناً شأناً وتذكارا تذكاراً لنستخرج هذه الخلاصة منها ٠ وكان مرتب الحروف في اثناء ذلك يغضب و يصيح و يطلب التتمة كأنه ظن ان درس مدنية متشعبة الاصول والفروع عظيمة الاثر والعين كالمدنية الاميركية مما يسهل استخراجه وتسطيره في ساعة او يوم ٠ و بعد مراجعتنا في ذهننا شؤون اميركا كلها حين كتابة هذا الفصل لم يلذ لنا شيء كمطالعة وداعنا لاميركا الذي كتبناه في الطريق بعد الرحيل عنها وهو خطاب الى تمثال الحرية العظيم المنصوب في مرفاء نيو يورك يستقبل الواردين و يودع الصادرين بنور القبس المرفوع بيده الهائلة وقد مرّت بنا السفينة امامه حين خروجها بنا من المرفاء (١) وقد ضاق المجال عن نشر هذا الوداع في هذا الجزء ٠ فموعدنا به الجزء التالي ان شاء الله ٠

عقدة المسائل الاجتماعية

أثار الكلام فيها سعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية بكتابه الجديد (روح الاجتماع)

بحث هذا وقته

اهدى الينا جناب الفاضل خليل بك صادق صاحب (مطبعة الشعب ومكتبته ومسامراته) نسخة من كتاب (روح الاجتماع) الذي ظهر في الشهر الماضي وهو من تأليف العالم الدكتور غوستاف لو بون الفرنسوي وقد عربه سعادة المفضال احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية ٠ وقد أذكرنا ظهور هذا الكتاب العلمي النفيس معرباً بقلم سعادة وكيل نظارة الحقانية قولاً قاله افلاطون في (جمهوريته) وهو : ان اسعد الامم الامة

(١) كتبنا هذا الخطاب على طريقة (الخطبة لدى شلالات نياغرا) التي نشرناها في الجزء الثامن للسنة السابقة

التي يحكمها العلماء والفلاسفة • وقد رمى افلاطون في كتابه الى تأييد هذه الفكرة وجعلها مدار كلامه ومنتهى غرضه • ومن علم ان كتاب سعادة فتحي باشا الجديد هو سابع كتاب له باللغة العربية وقد وجد فرصة للاشتغال باخراجه الى لغتنا مع ماله من شواغل الوزارة والحكومة فلا يتمالك ان يتذكر قول افلاطون هذا .

﴿ مارأيناه في باريز من روح الجماعات ﴾ ومن غرائب الاتفاق ان نجد في وجهنا في الاسبوع الذي وصلنا فيه الى مصر كتاباً كهذا الكتاب . فاننا في اثناء رحلتنا أطلنا البحث والتفكير غير مرة في موضوعه حين مشاهدتنا آثار شعوب الارض وآخر مرة كانت في باريز حيث اقمنا فيها ستة اسابيع صرفنا جانباً عظيماً منها في غشيان مجتمعات (الجماعات) التي هي موضوع كتاب سعادة فتحي باشا وكانت يومئذ قضية فرر قائمة في اوروبا على ساق وقدم وجماعات من الفرنسويين يعقدون الاجتماع تلو الاجتماع لاقامة الحجة على سجنه ومحاكمته . فحضرنا جلساتهم وتهنا بين صفوفهم وهم الوف الوف في نادي لوهال ينادون ويدعون وينشدون وهبت علينا (روحهم) في اثناء مناداتهم واناشيدهم الثورية هبوباً تقشعرّ له الابدان . وسمعنا خطب غلاتهم ونخص منهم بالذكر (هرفه) زعيم الاشتراكيين الثوريين الذي كنا نتوق الى استماعه لانه أحدث اثراً في شعوب أوروبا بمبادئه الغريبة التي نشرها وتابعه كثيرون فيها والتي اذا نفذت خربت الهيئة الاجتماعية الحاضرة واقامت هيئة جديدة الله اعلم بنتيجتها . ولعلّ هذه المبادىء وامثالها مما هو اقلُّ غلواً منها (كمبادىء مركس وبيل وجوريس وكسد) هي التي جعلت الدكتور غوستاف لوبون يكتب كتابه (روح الاجتماع) الذي نحن الآن في صدده لانه ظهر لنا ان فصول الكتاب بمنزلة ردّ عليها . راجع الفصل الثاني في (مشاعر الجماعات واخلاقها) والفصل الثالث في (قواد الجماعات وطرقهم في الاقناع). فان الصور المرسومة فيهما صور حقيقية كدنا نلمسها بيدنا في اثناء تلك الاجتماعات . هذا بقطع النظر عن طبيعية حكم المؤلف عليها .

وفي الحقيقة ان سعادة فتحي باشا زغلول ذو فضل عظيم في توجيهه بكتابه الجديد نظر الجمهور الشرقي الى هذه المسألة التي هي عقدة المسائل الاجتماعية . فان هذا وقت البحث فيها بينما الشرق يتمخض بالم وعناء في هذا الطور من تأريخه ليلد (المستقبل) الذي نرجو ان يكون عظيماً باذن الله . والمستقبل انما يصاغ من افكار الجيل الحاضر وآرائهم نعني افكار قادتهم وحكامهم وحكمائهم واهل الرأي فيهم فضلاً عن (روح جماعاتهم) كما يقول غوستاف لوبون . فمن سداد الرأي ان يُبسط للجمهور الشرقي منذ

الآن — بل الآن خاصةً — جميع الآراء والمذاهب العلمية والاجتماعية التي تساعده في تكوين مستقبله وانارة طريقه .

❋ كلمة حاكم ❋ عرب سعادة المعرب الكتاب ولم يبدِ رأياً في موضوعه . وكل ما كتبه فيه من عنده هذه العبارة الجميلة في مقدّمة صغيرة « طُلب مني ان أضع مقدّمة تشرح بعض موضوع الكتاب وتبين طرفاً مما اشتمل عليه فترددتُ كثيراً ثم رأيتُ ان اترك الشرح والبيان للقراء انفسهم واذا كنتُ نقلت الكتاب الى العربية نقلاً صادقاً صحيحاً فان معانيه تنساب في نفس قارئيه من دون احتياج الى شرح ولا رجوع الى بيان » وبديهي ان مؤلفاً ومعرباً يشغل منصباً في الحكومة من اعظم مناصب القطر المصري لا يجيز لنفسه ان يقول في موضوع كهذا الموضوع اكثر مما قال .

❋ خلاصة الكتاب ❋ غرض المؤلف في هذا الكتاب ان يثبت انَّ هذا الزمن زمن سلطة الجموع (او الجماعات) وانه اشد الازمنة حرجاً في تأريخ البشرية وان تلك السلطة سلطة الجموع نشأت عن امرين الاول « تهدُّم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تتكون منها عناصر المدنية الحاضرة . والثاني قيام احوال جديدة ونشوء افكار جديدة في الحياة تولدت كلها من الاكتشافات العصرية العلمية والصناعية » وانه « لما كان تهدم الافكار القديمة لم يتم فلم تزل قوتها وكانت الافكار التي ستحل محلها في طور تكونها كان الزمن الحاضر زمن تحوّل وفوضى » وانه يعسر التكهن « بما قد يتولد من هذا الوقت وما هي الافكار الاساسية والمبادىء الاولية التي سيقوم عليها بناء الامم التي تخلفنا » ولكن الذي نراه منذ الساعة ان جميع المعتقدات والسلطات اخذت تتداعى وتحطم الاَّ سلطة الجموع التي لا يهددها طارىء بل هي تعظم وتنمو . وعليه فالدور الذي نحن قادمون عليه (دور الجماعات) لا محالة .

وان تلك الجماعات اصبحت قوة تدرك منافعها وما لها من القوة بالسلطان ولذلك أنشأت السنديكات (جمعيات العملة والمأجورين) التي تخضع لها السلطات واحدة بعد الاخرى وبورصات العمل (التي هي غير البورصات التجارية لانها خاصة بالعملة وفيها مجتمع جمعياتهم وفروعها) . وان السنديكات وبورصات العمل تطمح الى التسلط على العمل والعملة واجورهم وتطلب (تحديد ساعات العمل ونزع ملكية (كذا) (١) المعادن والسكك

(١) سترى في ما يلي بياناً يثبت ان حضرة المؤلف الدكتور لوبون لم ينصف في تلخيص هذه المطالب بل بترها بتراً لتأييد حجته على أهلها ودعم رأيه .

الحديدية والمعامل والمصانع والاطيان وتوزيع الثمرات بين جميع الناس على السواء (كذا) واحلال الطبقات الوضيعة محل الطبقات الرفيعة وغير ذلك)

فلهذا السبب «استولى الهلع على الكتاب الذين لهم منزلة لدى الطبقات المتوسطة في الامم وخشوا عاقبة ذلك السلطان فولوا وجوههم قبل الكنيسة مستصرخين سلطانها الادبي وتأثيرها الروحي بعد ان بالغوا في احتقارها وغالوا في اهمال جانبها . ونادوا بافلاس العلم في طريقة تهذيب النفوس . وفات اولئك المتدينين من جديد ان الوقت قد فات وانه ليس في طاقة البشر ولا مما تتعلق به القدرة الالهية جعل مياه الانهار تصب في ينابيعها . وما افلس العلم ولا ذنب له في فوضى الافكار التي انتشرت ولا في سلطة الجماعات التي تنمو وسط تلك الفوضى» وانما الذنب «للايدي الطائشة التي ازالت بالتدريج جميع الحواجز التي كانت تمنع من طغيان الجماعات» «توجد علامات عامة ظاهرة في جميع الامم تدل على سرعة نمو سلطان الجماعات نمواً لا رجاء في وقوفه آجلاً ونحن خاضعون لحكمه حاملون كل ما أنتجه بالقهر عنا فكل قول فيه باطل لا فائدة منه ومن الجائز ان تولى الجماعات قياد الامم أن يكون خاتمة ادوار مدنية الغرب فيرجع الى الانغماس في اودية الفوضى»

هذه خلاصة فكرة المؤلف وما بقي من الكتاب فصول شرح فيها هذه الفكرة بعلم غزير وبيان ضاف شرحاً بناه على مشاهداته ومطالعاته .

«من هم الجماعات» ولا بد ان القارئ يتساءل من هم الجماعات التي صعقها جناب الدكتور غوستاف لوبون هذه الصعقة في كتابه . أهي الشعب ؟ كلا فانه يقول فيه ان (روح الشعب تمثل حالة الحضارة واما روح الجماعات فتمثل حالة الهمجية) (الصفحة ١٩٩) ولعل المؤلف احسن الظن بالشعب هذا الاحسان اولا لئلا يتهم بالتحامل على شعب باسره والرجوع الى مبداء الاستبداد والاستعباد وثانياً ليقول ما قاله في الصفحة ٩٩ وهو ان التقاليد ضرورية للهيئة الاجتماعية وغني عن البيان ان الشعب مصدر هذه التقاليد وهي خلاصته وروحه كما قال المؤلف كما انه غني عن البيان ان هذه التقاليد هي مستند المحافظين في كل شأن من شؤون الحياة وحجتهم الكبرى على خصومهم . وقد اوجد المسيو موريس باراس الفرنسوي مذهباً له خاصاً بها فراج بعض الرواج لدى طالبي السدود والحدود لصد تيار الآراء الحديثة . ومن الاسف ان نرى انهم لا يكونون على الدوام مخطئين في التمسك بها من بعض الوجوه وفي بعض الاطوار ..

وانما عرّف المؤلف مراده بالجماعات في قوله (الصفحة ٢٤) «الجماعات بالمعنى المتعارف

اللفيف من القوم مطلقاً وان اختلفوا جنساً وحرفة (ذكوراً كانوا او أناثاً) وعلي اي نحو اجتمعوا . اما في علم النفس (وهو الذي يقصده هنا) فلها معنى آخر . ففي بعض الظروف يتولد في الجمع من الناس صفات تخالف كثيراً صفات الافراد المؤلف هو منها حيث تختفي الذات الشاعرة وتتوجه مشاعر جميع الافراد نحو صوب واحد فتتولد من ذلك روح عامة وقتية بالضرورة الا انها ذات صفات مميزة واضحة تمام الوضوح وحينئذ يصير ذلك الجمع لفيفاً مخصوصاً لم أجد لتسميته كلمة اليق من لفظ الجماعة المنظمة او الجماعة النفسية فكأن ذلك اللفيف ذات واحدة وبذلك يصير خاضعاً لناموس الوحدة الفكرية الذي تخضع الجماعات لحكمه » « وان مجرد اجتماع افراد كثيرين اتفاقاً لايكسبهم صفة الجماعة المنظمة فان الف نفس اجتمعوا عرضاً في رحبة واسعة لغير قصد معين لايكونون جماعة عند علماء النفس بل لابد في توفر صفات الجماعة من تأثير موءثرات مخصوصة»

ومعنى هذا ان الجماعات المقصودة بكلامه هي (الجماعات المنظمة) ولها قصد معين وغرض معلوم تسعى اليه . فيدخل فيها سنديكات العمل من صناع وزراع ومستخدمين ولجان الانتخاب والمنتخبين انفسهم كما ترى ذلك واضحاً في الكتاب . والأحزاب السياسية في البرلمان وخارجه . وجماعة المحلفين(الجوري)لدى محاكم الجنايات والمحامين والطوائف العسكرية والدينية ورؤسائهم . وطبقات الجموع الاواسط وجموع أهل الريف الخ الخ . ومن رأي المؤلف ان هذه الجماعات خاضعة على الدوام لحكم اللاشعور و يغلب فيها انحطاط القوة العاملة فاذا تناولت رأي كل فرد من افرادها فرداً فرداً رأيته أرقى من رأي مجموعها ولكن روح المجموع يتأثر بموءثرات مخصوصة تجعله احط من رأي افرادها. وانها سريعة التصديق والاندفاع الى الشجاعة والشر والعوبة في ايدي زعمائها الذين يؤثرون عليها لا بالمعقول بل من طريق مشاعرها الغريزية فيجارونها وسائلهم التأكيد والتكرار والعدوى فيظهر انهم متسلطون عليها وفي الحقيقة انهم انما يتبعونها ، وانها تعد الخيالات حقائق ولا تدرك الافعال العالية الاّ بعد تغيرّها .وانه من الخطاء الاعتقاد بان للتعليم تأثيراً فيها . وان الحكومات اصبحت لهذا السبب ضعيفة عن قيادة الافكار كما كانت تقودها في الزمن السابق . وان «النظام النيابي اقصى ما تصبو اليه الامم المتحضرة في العصر الحاضر لانه يعبر عن فكر سائد في الناس وان كان علم النفس يراه خطأ وهو ان العدد الكثير أقدر من العدد القليل على البت في الامور بالعقل والرؤية والاستقلال » وان المجالس النيابية مع كونها « احسن الوسائل التي اهتدت اليها الامم في حكم نفسها » الاّ

ان المؤلف لا يرى لها من الجهة العملية « الأ ضررين كبيرين الاول تبذير الاموال تبذيراً لا مناص منه والثاني الترقي في تحديد الحرية الشخصية » وابان في فصل مسهب ما سبقه اليه جول سيمون الذى تهكم عليه المؤلف (في الصفحة ٢٤٦) من نقائص المجالس النيابية في كتابه (الحرية السياسية) . وختم كتابه بنعيب هائل في ثلاث صفحات بالغة أقصى حدود البلاغة الريالسئية تنبأ فيها للهيئة الاجتماعية بالفناء . ومنها قوله « علامة تلك الساعة التي لا مفرّ منها تكون على الدوام ضعف اليقين بالمقصد (Ideal) الذي اتكأت عليه روح الشعب وكلما انزوى عود هذا الخيال اندكت صروح الدين والسياسة والاجتماع التي كانت تستمد منه حياتها » « وكلما انزوى خيال الشعب (Ideal) فقد هو علة امتزاجه وداعي وحدته وموجد قوته وتمت شخصية الافراد وعظم الذكاء فيهم غير ان ذلك يصطحب بحلول الاثرة الشخصية المفرطة محلّ الاثرة القومية . ووراءه انطماس الاخلاق وضعف القدرة على العمل » « واذا تمّ فقدان الخيال تمّ فقدان روح الامة فتعود خليطاً من الناس كل يعمل على شاكلته وترجع الى ما كانت عليه منذ بدايتها جماعة لها منها جميع الصفات الوقتية فلا شعور ولا أمل . هنالك تنعدم اساطين المدنية وتمسي هدفاً لحوادث الاتفاق وتصير العامة سلطانة في الناس وتبدو طلائع المتوحشين » ومعنى هذا ان الشعوب انما تتكون (بايديال) تتخذه لها وتعظم باتباعها هذا (الايديال) فاذا تركته سقطت وفنيت وروح الجماعات وسلطتهم اشد العوامل في اسقاط هذا (الايديال) — هذه خلاصة فكرة المؤلف في ثلاثة أسطر .

﴿ رد اهل المذهب الآخر ﴾ لا نتذكر اين قرأنا عن المؤلف الدكتور غوستاف لوبون انه قال عن نفسه ان أحد أصدقائه كتب اليه فقال انه اي الدكتور لوبون يخالف في كتاباته كل ما هو معروف . وعليه فابحاث المؤلف وآراؤه لا تخرج عن كونها معارضة في مبادىء المدنية الحاضرة واصولها . وكل معارض يبالغ في كلامه في اكثر الاحيان ليحدث اثراً شديداً في نفوس سامعيه او قرائه . ولكن هذه المعارضة غاية في الفائدة في هذا الزمن للسبب الذي أشرنا اليه آنفاً وخاصة في شأن كهذا الشأن يحتمل افراط البشر فيه فمن الصواب ان ينهض حيناً بعد حين رجل كالمؤلف وينعب بينهم ذلك النعيب الهائل بصوت ارفع من الاصوات التي نسمعها كل يوم في جرائد المحافظين الاجتماعيين في اوروبا واميركا .

ذلك لان لهذه الآراء التي بسطها المؤلف دعاة كثيرين اليوم في اوروبا واميركا

ولكن مما نعده شرفاً للمؤلف انه لا يضع يده في ايديهم في جميع المسائل بل يكتب مالهم وما عليهم كما يكتب المفكر وهو بعيد عن ضوضاء الحياة وغوغاء الناس. وقد لخصنا مذهبه آنفاً فعلينا الآن ان نلمّ بطرفٍ من مذهب الفريق الآخر الذي يعارضه المؤلف ليكون القارئ على بينة من المذهبين (و يسمع الجرسين) كما يقول الافرنج في امثالهم فتتمّ الفائدة

فاهل المذهب الآخر يقولون مثلاً مايلي « ان المؤلف مصيب في قوله ان الشعوب تنحط وتنقرض اذا لم يكن لها(ايديال) أو غرض عمومي شريف تسعى اليه وتلتفّ حوله. ولكن الخلاف الذي بين الفريقين هو انّ هذا الايديال نفسه يتغير و يتبدل طبقاً لمبداء التحول . فقد كان الايديال من قبل لدى الفرنسو يين مثلاً ان يسفكوا دماءهم في سبيل الله والملك وهذا سبب استماتتهم في غزوة الشرق في الحروب الصليبية . ثم اصبح ايديالهم بعد الثورة الفرنسوية الاستماتة في سبيل الحرية والجمهورية فافنوا بعضهم بعضاً في بدء الثورة . فاذا كانت الاحزاب المتطرفة منهم قد تغير اليوم ايديالها تغيراً ثالثاً وأصبح همها منصرفاً الى استخلاص السلطة الاقتصادية والمالية من ايدي الافراد والشركات (بعد ان يُدفع لها تعويض كاف) لوضعها في ايدي الحكومة لتتمكن الحكومة من نفع الشعب بها ورفع الطبقات الضعيفة أو الدنيئة الى مرتبة ارفع تليق بالبشرية ليعيشوا معيشة البشر لا معيشة البهائم فهذا ايديال عظيم ايضاً ككل ايديال جميل اذا كان تحقيقه ممكناً . لما دنس احد المتطرفين المتهوسين الراية الفرنسوية سراً في احدى الفرق العسكرية منذ نحو شهرين اذ القاها في المرحاض نكاية بالاحزاب الوطنية والعسكرية والدينية والمالية قامت قيامة الجرائد المحافظة والمعتدلة على ذلك المتهوّس والصقت فعلته بالراديكاليين والاشتراكيين وجرائدهم . فكان الصمت جواب المعتدلين من هؤلاء ولكن المتطرفين قالوا لهم بصراحة ان ايديالكم ليس بأيديالنا واذا كنتم انتم تجعلون شرفكم ووطنكم وايديالكم في قطعة نسيج ملون وتغضبون له هذا الغضب فايديالنا نحن وشرفنا ووطننا في مبادئنا التي هي مبادئ الثورة الفرنسوية ومقتضاها رفع شأن الشعب ومحاربة الاستبداد الاقتصادي والمالي الذي يضغط على حياته كما حاربنا الاستبداد السياسي من قبل. ولا نبحث هنا في صحة هذا الايديال او فساده وانما نقول ان الجماعة التي تظهر ما اظهرته جماعة العملة واحزاب الشعب من القوة والنشاط وعدم المبالاة بالعقاب والموت والاستهداف لسنابك الخيل وحراب الجند في المظاهرات والاعتصابات والتضامن الغريب الذي بينها لا تكون جماعة دون ايديال

وانما ايديالها يختلف عن ايديال الدكتور لو بون مثلاً . فانه هو ينظر الى الامم والحكومات ومستقبلها من وجه وهي تنظر اليها من وجه آخر . ولا يلتقيان الا متى التقى الفرقدان

هذه هي النقطة الاساسية في البحث . ثم تتفرع منها تتمته . ان الجماعات والسنديكات التي أشار اليها الدكتور لو بون هي جمهور الشعب الفرنسوي كله مجتمعاً في جمعيات كل جمعية لفرع من فروع حياته من اكبرها الى أصغرها وحسبك ان للمتسولين في الشوارع سنديكات (١) فاذا كانت هذه الجماعات كلها لاتحسن تدبير شؤونها الخصوصية والشؤون العمومية. فالشعب الفرنسوي كله اذاً عاجز قاصر . وجميع اعتراضات الدكتور لو بون الموجهة الى تلك الجماعات تتوجه الى الشعب كله ولا ينقذه من هذه التهمة اطراؤه الشعب وتقاليده في سطرين أو ثلاثة من كتابه . وكم من مرة ونحن نطالع هذا الكتاب قلنا ان رأي الدكتور لو بون في الشعوب رأي الذين يقولون انها ولدت اطفالاً و بقيت اطفالاً محتاجة الى وصاية الطبقات الارستوقراسية والسياسية وستبقى كذلك الى ما شاء الله . وهذا الرأي وجيه لدى كثيرين من المفكرين المخلصين فضلاً عن الذين يستفيدون منه وهو يحتمل البحث والنظر . بقي ان يقال ان الاعتراض ليس على كفاءة الشعب بل على عجز (روح الجماعات) عن جودة السياسة والرئاسة لان تركيبها يوجد هذا العجز فيها . ولكن هذا القول يعارض كثيراً من الآراء التي ذهب اليها علماء العمران . قال الفيلسوف جول سيمون في كتابه (الحرية السياسية) ما خلاصته ان الافراد الذين تتألف منهم الجماعات النيابية مثلاً قد يكونون ضعفاء وكل واحد منهم على حدته غير قادر على السياسة ولكنهم اذا اجتمعوا وتألف منهم المجلس ارتقت آراؤهم وهي مجموعة عن معدل آراء كل فرد منهم . يعني ان روح المجلس تكون طبعاً ارقى من روح كل فرد من افراده واجتماعهم هو سبب هذا الارتقاء ولذلك تكون الامم التي ليس فيها افراد نوابغ قادرة على سياسة نفسها بروح تلك المجالس . اذن فمن نصدق. الدكتور لوبون او السياسي المحنك والفيلسوف المشهور جول سيمون الذي ليس في استطاعة احد

---

(١) هم متسولو مرسيليا المصابون في اجسامهم باعضاء مريضة او مبتورة انشأوا سنديكات تتولى مقاومة المتسولين الذين يظهرون انهم مقطوعون مع انهم اصحاء الاجسام وذلك لاطلاع الحكومة على أمرهم منعاً لمزاحمتهم لهم لان التسول ممنوع شرعاً إلا للمأذونين

رميه بالتزلف الى الشعب بعد مابدا منه من دلائل استقلال الفكر قولاً وفعلاً — قولاً في مانشره في كتبه من تحذير الديموقراطية من نقائصها وفعلاً في مافعله في عهد نابوليون الثالث اذكسر مستقبله كسراً باحتجاجه على حكومته احتجاجاً افضى الى فصله عن السر بون التي كان أحد أساتذتها وما فعله في عهد الجمهورية نفسها يوم قاوم حزبه الجمهوري نفسه في شأن المادة السابعة من قانون التعليم وهدم نفسه لديهم هدماً بهذه المقاومة ولولاها لارتقي الى رئاسة الجمهورية ومات وهو من أعظم رجالها. وهب ان رأي الدكتور لوبون هو الصحيح وراي جول سيمون هو الباطل فان رأي الدكتور لوبون في هذا الشأن يقتضي فض الجمعيات والسنديكات وجعل جمهور الشعب افراداً ضعفاء بازاء الحكومة وبازاء انفسهم. وهل يجوز في هذا العصر الذي نهض فيه اكابر اهل العلم والسياسة والفلسفة ينشطون الامم الى التجمع في جمعيات تشتغل كل واحدة منها بما يختص بها في دائرة اختصاصها وترقيه بتعاون افرادها عليه كما ارتقى العلم والصناعة والزراعة والتجارة بهذا التعاون نفسه هل يجوز والحالة هذه في هذا العصر ان تمد مطرقة الدكتور لوبون الشديدة الى اساس هذا البناء الذي هو بناء الحضارة الجديد لتقويضه وهدمه. وماذا يبقى للامم اذا فضت جميع جمعياتها وسنديكاتها واسيء الظن ببرلماناتها وحكامها — ماذا يبقى لها غير نير ملك قاهر او امبراطور جائر يوضع على عنقها لاستعبادها والاستبداد بها وبيع مرافقها ومنافعها بيع السماح. واذا كان لايقصد هذا ولا ذاك فاي فائدة اذاً ينتج من مهاجمة اساس الهيئة الاجتماعية هذه المهاجمة سوى غرس الحيرة والشك في نفوس الناس وعلى الخصوص النابتة الجديدة وتنفيرهم حتى من الاساس الذي قامت عليه الحضارة وتثبيط هممهم وافناء قواهم بهذه الحيرة والشك

وقد يكون غرض المؤلف في كتابه ان يثبت أمراً أبعد من الأمر الظاهر. وهو ان الجنس البشري غير قابل للكمال وانه كطائفة النمل متى بلغ في مدنيته حداً محدوداً عاد وتدلى راجعاً ادراجه. وهذا ايضاً فيه نظر لان أهل العلم بين قائل بقابلية الكمال وقائل بعدم القابلية. واذا كان سبنسر ودروين يقولان بمذهب النشوءوالارتقاء ويضعان مبدأ «ان الافضل يُنسخ بما هو افضل منه» كما قال ابن رشد في كتابه تهافت التهافت فان نيتشوغيره ينكرون قابلية الكمال ويجحدون ان للوجود غاية غير غاية تقوية الفرد وزيادة قوى الانسان حتى تفوق قواه الحاضرة. ولكن اذا كان الجنس البشري غير قابل للكمال وانما حظه — او سوء حظه — التراوح في اطوار التأريخ بين الانحطاط والارتقاء والصعود

والهبوط كما قال الدكتور لو بون فالأمر يكون اذاً بين يدي القوة « فمن غلب سلب ومن عزّ بزّ » وهذا يجيز لطبقات الضعفاء في الامم ان تستجمع قواها وتعد جميع معداتها لمنازعة من تدعوهم خصومها وتستخلص من ايديهم ما امكنها استخلاصه . فلا جناح عليها اذاً في ما تفعله التماساً للمنافع كما انه لاجناح على خصومها اذا ابوا عليها اعطاءها ماتطلبه . فان قويت أخذت والا حرمت

على انه قد يكون للمؤلف غرض آخر اقرب مما تقدم وهو ان السبب في وضعه كتابه هو الرغبة في التهويل مع المهولين على الحكومة الفرنسوية لتقلص من ظل جمعيات العملة ومطالب الشعب وتترك التساهل معهم خدمة لأهل المصالح المالية والاقتصادية . ومهما يكن من الأمر فان تلك الحرب التي تدور رحاها الآن في العالم اجمع بين المأجورين والمستأجرين او اهل العمل واهل المال والتي ذكرنا طرفاً منها منذ بضع سنوات في كتيب عنوانه (الدين والعلم والمال) انما هي حرب يخلق بالمفكر المنصف ان يقف بازائها وقفة المشفق الداعي الى اخماد نار الاحقاد والتوفيق بين تلك المصالح المختلفة والمبادىء المتعارضة ما امكن التوفيق . واذا مال بعض الميل الى الجانب الضعيف وان لم يكن على حق فميله عدل ورحمة معاً لان شقاءهم في هذه الدنيا شديد . وما من فائدة لاحد في زيادة مسافة الخلف بين الفريقين والقاء الهشيم على النار لتزداد وقوداً .

على انه اذا لم يكن من فائدة لهذا الكتاب المكتوب بعلم غزير سوى اثارة البحث في موضوعه بين الشرقيين وجعل ما فيه من الآراء والافكار عبرة لنا في بدء دخولنا الحياة الدستورية في البلاد العثمانية وقبل دخولنا هذه الحياة في القطر المصري لئلا نجمح فيسوء المصير — فحسبنا هذه الفائدة . وعلى القارئ العربي ان يقتنيه ويدرسه درساً ويستفيد بمعلوماته العلمية الدقيقة وان لم يشارك المؤلف في جميع آرائه . وتعريبه متين جميل للغاية جزى الله سعادة معربه المفضال خيراً عن قراء اللغة العربية واكثر بيننا من أمثاله رجال الهمة والعلم والفضل الذين هم موضع آمال الشرق وابنائه

نشيد

الراية العثمانية الدستورية

فارقنا الوطن وهو عبد وعدنا اليه وهو حرّ . والجامعة تشكر لجناب صديقها الشاعر البليغ الطائر الصيت مصطفى افندي صادق الرافعي ناظم هذه القصيدة النفيسة لانه بعث بها اليها فمكنها من ان تجعل في اول جزء منها يظهر في الشرق هذا النشيد الجميل تحيتها الى الحكومة الدستورية العثمانية ورايتها التي هي مجيدة منذ طفوليتها.وقد ابدع الناظم في هذه القصيدة واتى في البيت السادس عشر منها بمعنى مبتكر جميل سيبقى لاصقاً بالراية العثمانية الدستورية ويجري مجرى الامثال لدى الواقفين عليه . رفع الله راية الرجاء وعفا عما مضى.

رفع الصبحُ راية الشفق الاحمرِ مستفتحاً لجيش الضياء

هل ارى في السماء أذيال حوزا ءتخطىّ بها على استحياء
أم ارى في السما حديقة ورد كشفتها الجنان للشعراء

راية في صباغها ذابت الشمس— فلاحت كالبقعة الحمراء
في ذرى الجوِ حيث لا تترامى همةُ الريح في ذيول الفضاء
حيث لا تنتهي المطامع الا عبثاً من وساوس الجهلاء
من رآها يخال راية عثما نَ أُقيمت على بروج السماء

رايةُ الدولة التي لحماها مَهرَبُ الشمس من يد الظلماء
راية الامة التي من حلاها عقدُ دمع الملوك والأمراء
انه لؤلؤ يُغاصُ عليه تحت موج الحديد بحرُ الدماء

رايةٌ حيثما تُهزّ يجمّ المو تُ رعباً لغضبة الخلفاء
غضبةٌ تزأرُ البراكين منها وتمورُ الجبالُ في الهيجاء

غضبة الراية التي لعداها ظلها عابسٌ عبوسَ الفناء
واراها على القلاع لسان النا رِ مستعجلاً ردى الاعداء

رايةُ الحرب راية السلم طرًّا رايةُ النصر رايةُ السعداء
ليس رسم الهلال ذاك ولكن قلمُ النور خطَّ راء الرجاء

يا جناح السلام رفرفْ على الخلق فما في سواك روحُ الهناء
انَّ هذا الهواء مهبطُ جبريلَ وذي الارض منشأُ الانبياء

مصطفى صادق الرافعي

الى مريدي المهاجرة

ابحث

وحاذر قبل ان تهاجر

سمعنا من كثيرين قولهم اننا بعد اطلاعنا في الجامعة وهي في نيويورك على آثار اميركا وعظمتها وثروتها كدنا نهجر بلادنا اليها . ونخشى ان تستفز المقالات التي أخذنا في نشرها عن اميركا بعض القراء أو بعض ذوي قرباهم الى المهاجرة وهم على غير بينة من الأمر اغتراراً بثروة اميركا وعظمتها فرأينا من الواجب ان نكتب هذا الفصل ونبسط فيه حالة المهاجرة وشروطها ليكون مريد المهاجرة على علم بها .

واول ما نقوله هو ان الذي لديه فضلة من ماله ويريد انفاقها في ما يسلي خاطره ويشرح صدره ويزيده علماً باحوال الكون واطلاعاً على آثار العمران له ان يقصد اميركا ويزورها كما يزور أوروبا . وكم من مرة حثنا اصدقاءنا ومعارفنا في الشرق وأوروبا على ان لا يقتصروا على زيارة أوروبا بل ان يطيلوا شوطهم ويبلغوا اميركا . حتي لقد قيل لنا مرة بعد ان اسهبنا في جمال هذه الزيارة انه لو علمت حكومة اميركا بسعيكم لبلادها هذا المسعى وجعلكم لسانكم (اعلاناً حياً) لما ضنت على الجامعة بمكافأة ...

ولكننا اذا كنا نقول ذلك القول لمن لديه فضلة من المال ويريد السياحة ترويحاً للنفس فلا نقول مثله لمن يبغي المهاجرة طلباً للرزق . بل نقول لهذا « ابحث وحاذر قبل ان تهاجر » وبودنا لو ردَّدت هذا التنبيه جميع رصيفاتنا في الشرق ليبلغ الى آذان مريدي

المهاجرة الى اميركا وعلى الخصوص في سوريا ولبنان

ومرادنا بهذه العبارة انه يجب على المهاجر قبل ان يهاجر ان يقيس قواه على مطامعه و يعلم لماذا يهاجر واي شيء يلقاه هناك وما يستطيع عمله ومالا يستطيعه . و بعد ذلك فله الخيار بين المهاجرة والاقامة .

كم من مرة لقينا في الولايات المتحدة شباناً وكهولاً وشيوخاً يسألوننا ماذا يعملون فكنا نجيبهم كان عليكم ان تسألونا هذا السؤال قبل سفركم الى اميركا ولو فعلتم لأجبناكم ان لاتهاجروااليها . وكان نصفهم يرجع الى بلاده على عجل والنصف الآخر يقيم متردداً بين العودة والاقامة حتى يسأم فيعود او يبقى مهاجراً غير راض بحالته ولا يكاد يكسب نفقاته

كل باخرة تمر بمصر قاصدة اوروبا تحمل مئات من المهاجرين السوريين حتى بعد الدستور وقد اشار الى ذلك منذ حين بعض الافاضل . ولا ينكر ان فيهم كثيرين ممن هاجروا بسبب القرعة العسكرية الجديدة لغير المسلمين ولكن لكثرة المهاجرة آخراً اسباباً اخرى . فمنها ان الاشغال في اميركا عادت الى الرواج بعد تلك الازمة المشهورة . ولما كنا في لورنس (ماس) علمنا ان نحو ٣٠٠ مهاجر سوري من نزالتها عادوا الى بلادهم في شهر واحد بسبب تلك الازمة لان المعامل أُقفلت وهم عملة فيها فاضطرهم اقفالها الى طلب المال من أهلهم في الشرق واذ سئموا تكرار الطلب فضلوا ان يعودوا الى وطنهم ولما سمعوا في الزمن الأخير ان رحي الاشغال دارت عادوا الى اميركا وربما اصطحبوا رفاقاً لهم . ومنهم من عاد الى وطنه بعد اعلان الدستور واذ عاش فيه مدة ولم يحس بتغيير يذكر من الجهة الاقتصادية آثر الرحيل مرة أُخرى فعاد . ومنها اننا مقبلون على فصل الشتاء فمن يريد المهاجرة يهاجر في هذا الوقت ولذلك اشتد ازدحام المهاجرين . ومنها ان للمهاجرين في اميركا اقارب وأصدقاء فهم يزينون لهم السفر ويجتذبونهم اليهم . ومنها ان المقيمين في وطنهم يرون بعض القادمين من اميركا من ابناء بلادهم و يسمعون بغنى اميركا وعجائبها فتدب فيهم الغيرة وتحدثهم نفوسهم ان يفعلوا فعلهم . ومنها الفقر وضيق الخلق والرغبة في تغيير الافق لعل الحالة تتغير بتغيره الخ الخ .

لهذه الاسباب ولغيرها ما زال المهاجرون السوريون يقصدون اميركا و يتهافتون عليها دون ان يعلم كثيرون منهم لاي شيء يهاجرون اليها وماذا يفعلون فيها . وقد سألنا بعضهم في الطريق فكانوا يجاوبوننا سنرى ما نفعله بعد وصولنا. وهذا الجواب حسن اذا كان في يد قائله رأس مال يمكنه معه ان يختار ماشاء من الاعمال و يستعمله في العمل الذي يختاره

بعد وصوله . ولكنه اذا كان لا يملك مالا فسفره اليها على هذا الوجه (اي على باب الله) من ضروب المخاطرة التي لا تُحمد لان الله سبحانه لا يجود عادةً الا على الذي يحسن الاحتياط لنفسه وتدبير اموره .

الامور الاربعة

لا نكتب هذا الكلام للذين هاجروا آخراً فهم هاجروا وانقضى الأمر ونسأل الله ان يأخذ بايديهم و يتولاهم بعنايته . وانما نكتبه للذين لم يهاجروا وتحدثهم نفوسهم بالمهاجرة الى اميركا . فنقول لهؤلاء مايلي .

« من اراد المهاجرة الى اميركا عليه ان يكون في يده رأس مال كافٍ . او ان يكون في يده صناعة يعمل فيها. أو ان ينوي العمل في المعامل . أوحمل البضائع والجولان بها لبيعها . ولكن المهاجر السوري الذي ليس في يده رأس مال ولا صناعة ولا يريد العمل في المعامل ولا حمل البضائع فالواجب عليه ان لا يرحل الى اميركا قطعياً »

كان المهاجرون من قبل يرحلون الى اميركا (على باب الله) ولا يمسهم الضيق لان مسألة التجول بالبضائع كانت في رواج . فكان كل مهاجر يصل يستطيع ان يشرع في العمل يوم وصوله وذلك بان يحمل بضاعة و يطوف بها على المنازل في المدن الكبرى والصغرى فيبيع و يربح . وكان التجار يساعدونه و يأتمنونه على بضائعهم لانهم يربحون من هذه المساعدة والاستئمان بل كان كل ربحهم منها . وكانوا من قبل ينتظرون البواخر القادمة من الشرق و يستقبلون أبناء وطنهم القادمين اليهم للاتفاق معهم على التجول ببضائعهم . اما الآن فقد تغيرت الحالة . فالتجار اصبحوا لا يأتمنون على بضائعهم الا من يثقون منه والاميركيون ضجروا من كثرة الباعة المتجولين شرقيين وغير شرقيين لاسباب عديدة فضلا عن انتشار المخازن الاميركية التي تبيع السلع في اصغر القرى وأبعدها وتفتح عيون الاميركيين وزوال سذاجتهم القديمة حتى اصبحوا عارفين باثمان السلع التي تباع كما يعرفها الباعة . وفي صباح هذا اليوم الذي نكتب فيه هذا الفصل ورد علينا كتاب من شاب اديب في اميركا يقول فيه انه تجول شهرين للبيع فاسفرت النتيجة عن خسارته مئة ريال ولذلك عافه . فانت ترى ان مسألة البيع التي كانت عملاً قريباً من يد كل مهاجر لا يجد عملا قد أصبحت في كساد . فاذا كان المهاجر الشرقي ليس في يده رأس مال ولا صناعة و يكره دخول المعامل للعمل فيها فماذا يفعل . انه لا يجد في اميركا كلها عملا يعمله لانه لا يحسن لغة البلاد ولا يعرف عاداتها فمن الصعب ان يُستخدم للاعمال الصغيرة كالخدمة في الفنادق والمطاعم والمخازن وغيرها . وهذا أمر جدير بالنظر

ولكنه اذا كان نشيطاً قوي النفس لايستحي بالعمل ويريد العمل في المعامل فهذا باب متسع في اميركا اعظم اتساع ومفتوح لكل مهاجر الا في اثناء الازمات الشديدة . واقل ربح للعامل في المعمل خمسة ريالات في الاسبوع (جنيه) ويرتقي هذا الربح بارتقاء حالة المهاجر . فقد شاهدنا في وليمنتك (كناتكت) شباناً سوريين ادباء يعملون في معامل الحرير واجرة الواحد منهم بين ١٢ و ١٥ ريالاً في الاسبوع (ثلاثة جنيهات) والنفقة تكون طبعاً على قدر الكسب في كل بلد . فالشرقي الذي يضع نصب عينيه العمل في معامل اميركا ويهاجر لهذا السبب يمكنه ان لا يقيم دون عمل يوماً واحداً اذا كان نشيطا ذكياً . ولكن هذا العمل محدود الربح وهو كالاستخدام يضعف القوى ويسد باب الصدف التي يمكن ان يغتنمها الانسان اذا كان عمله لنفسه . فضلاً عن انه يقتضي الخبرة والتمرن . فعلى المهاجر ان يكون لديه شيء من المال يعيش منه قبل اكتسابه هذه الخبرة ليتمكن من دخول احد المعامل.

في أثناء سياحتنا في الولايات الاميركية الاربع (١) التي يدعونها (نيوانكلاند) اي انكلترا الجديدة لانها كانت الولايات الاولى التي هاجر الانكليز اليها واستعمروها (وهي كناتكت وماستشوستس ومابن ورود ايلند) كنا نجد في كل مدينة دخلناها جالية عظيمة من اهل كندا الفرنسويين وقد هجروا وطنهم للعمل في المعامل الاميركية العظيمة . ورب مدينة كبد فرد (ماين) أو وستر (ماس) فيها عشرات الالوف منهم ولهم فيها اندية وجمعيات وجرائد وكنائس . وكم كانت تلذ لنا احاديثهم ومنظر سيداتهم حين انصرافهن افواجاً افواجاً من المعامل في المساء وعلى وجوههن وفي حركاتهن رشاقة الجنس الفرنسوي التي تعرّفهن حتى لمن لا يعرفهن . فالمعامل الاميركية تعول ملايين من النفوس في اميركا من المهاجرين وأهل البلاد . ولولاها لأكل الناس بعضهم بعضاً .

بقيت مسألة الصناعة ورأس المال . ونقصد بالصناعة ان يكون للمهاجر حرفة يعمل بها كالحساب (مسك الدفاتر) والنقش في الخشب والنجارة والخياطة الخ . اما الحساب فاجرة الحاسب في المخازن السورية ٤٠ ريالاً في الشهر (ثمانية جنيهات) وأكثرها ستون ريالاً ولكن هذه لا تكون الا للكتاب الممتازين عن غيرهم . وفي السوق على الدوام حاجتها من الكتاب الحاسبين بل فوق حاجتها ولذلك لاتحتمل الزيادة . واما النقاش

(١) اصطلح الكتاب على تسمية الولايات المتحدة (باميركا) مع كونها جزءاً من القارة الاميركية وذلك لانها اعظم امة فيها وآثارها أظهر الآثار . فاذا رأى القارئ قولنا اميركا والولايات الاميركية فالمقصود بها (جمهورية الولايات المتحدة)

والنجار والحلاق والخياط الخ فانهم اذا قصروا عملهم على بني وطنهم السوريين فانهم لايكادون يربحون شيئاً يُذكر ومنهم من لايقوم بنفقاته والافضل ان يلتمسوا العمل بصناعتهم في مخازن الاميركيين باجور قليلة. وسبب قلتها عجزهم عن مجاراة اهل البلاد في طرقهم واساليبهم . ولكن الذي يستطيع هذه الجاراة يربح من صناعته ربحاً يستحق الذكر . فاننا نعرف اديباً سورياً في نيويورك صناعته نقش الخشب في معمل اميركي واجرته في النهار خمسة ريالات(جنيه) . والأمر الجدير بالنظر هو ان الذي في يده صناعة وهو متقن لها وهاجر الى اميركا يمكنه ان يعيش منها في محلات الاميركيين اذا اتصل اليها بواسطة ولكن يجب ان يكون ملماً باللغة الانكليزية

بقيت مسألة رأس المال . ورأس المال وحده لايكفي (صغيراً كان او كبيراً) اذا لم يكن مقروناً بالخبرة في حالة الولايات المتحدة وطرق العمل الذي ينفق فيه رأس المال . فكم من رأس مال ضاع وسبب ضياعه أمران : الاول ان الطريق التي أنفق فيها طريق مسدودة لاتؤدي الى ربح لعدم الحاجة اليها او لان الحاجة اليها قليلة فيكون الدخل دون الخرج . والثاني ان صاحب رأس المال لم يكن ذاخبرة كافية في طرق عمله . فعلى صاحب راس المال ان يكون ذا خبرة في العمل الذي يريد عمله وان لاينفق رأس ماله الا في عمل يكون هو خبيراً فيه . ولا نرى حاجة الى الافاضة في هذا الموضوع لان الذين لديهم رؤوس اموال ويهاجرون بها الى اميركا قليلون جداً لان المرء يجد في مصر بل في سوريا نفسها اعمالاً كثيرة رابحة اذا كان لديه راس مال وأحسن تدبيره ولذلك لايهاجر الى اميركا ذو راس مال . وعندنا ان هذا خطأ قديم ونتمنى ان يصلحه الزمن . فان اميركا اوسع بلاد في الدنيا لرؤوس الاموال . ولكن عذر الشرقي ان راس المال يربح في مصر كربحه في اميركا تقريباً مع قلة النفقة فيها وسهولة المعيشة في بلاد شرقية تلائم مزاجه واعتدال جوها ووجوده فيها بين أهل واصدقاء وابناء وطن في وسط لغته كلغته وروحه تنطبق على روحه ولذلك يفضل اصحاب رؤوس الاموال ان ينتجعوا مصر ولا يفكرون باميركا . والاوروبيون انفسهم لديهم مصر بمنزلة اميركا لدى السوريين المهاجرين . فكم من مرة حادثنا في الباخرة بين اوروبا ومصر الاوروبيين المسافرين منها والعائدين اليها فوجدناهم يعجبون بثروة مصر وخصبها وارباحهم فيها . منهم سيدة كانت تقول انني احب مصر وافضلها على وطني فقد صرفنا فيها ٢٠ سنة وزوجي يكسب من وظيفته في الحكومة كذا ونحن عائشون في سعة ولو كان في وطنه لما كان يكسب نصف هذا المبلغ

ولا كنا نعيش كما نعيش في مصر · فتامل ·

ورب قائل يقول فما يفعل اذاً أبناء سائر الجوالي الاوروبية · فالجواب ان المسافة بين الاوروبي المهاجر الى اميركا وأهل البلاد الاميركيين اقرب منها بين الشرقي المهاجر والاميركيين · فان العادات والاذواق قريبة بعضها من بعض بين الاوروبيين والاميركيين ولذلك يسهل على اولئك الامتزاج بهؤلاء وعلى الخصوص اذا كانوا يحسنون اللغة الانكليزية · وهذا القرب بين اذواق الفريقين وعاداتهم وتقاليدهم وآدابهم سهل للاوروبيين سبيل معاملة الاميركيين والاستخدام عندهم وانشاء الحوانيت المختلفة للاتجار معهم والربح منهم ماأمكن الربح · فتراهم يطرقون ابواب جميع الاعمال الكبرى والصغرى التجارية والصناعية والزراعية والاستخدام فتتوزع هذه الاعمال عليهم وينال كل واحد منها ماينطبق على استعداده واخلاقه وكفاءته ·وما انتظمت احوال امة وقويت وأثرت الاَّ (بناموس توزيع الاعمال)

من الحكومة الاميركية الى سليمان افندي البستاني

وعلى ذكر هذا الناموس ناموس توزيع الاعمال خليق بنا ان نشير الى ما صرفنا اليه بعض اهتمامنا ونحن في اميركا وخاصة لانه ذو علاقة بمسألة رأس المال التي تقدم ذكرها

رأينا بعد وصولنا الى اميركا ان اعمال اخواننا المهاجرين تنحصر في امور اربعة · الاول التجارة اي انشاء محلات تجارية في المدن الكبرى لبيع البضائع للمتجولين الذين يحملون البضائع ويتجولون بها لبيعها او لتجار الداخلية الذين يبيعون اولئك الباعة وجميعهم سوريون التجار والباعة · فكانت تجارتهم تجارة سوريين مع سوريين · والثاني الباعة المتجولون الذين تقدم الكلام عنهم · والثالث عملة يعملون في المعامل · والرابع اصحاب مخازن لبيع الاثمار والحلوى وما أشبه · اي ان الصناعة والزراعة معدومتان لديهم اصلاً · ولما كان إنشا الصنائع صعباً في بلاد عظيمة الصنائع كما يعلم كل قارئ فرأينا ان افضل خدمة نقدر على القيام بها هي توجيه الافكار الى الزراعة وانشاء المزارع وامتلاك الارض وتربية المواشي لايجاد منفذ جديد وواسع لعمل النزالة · فاقمنا على هذه الدعوة ثلاث سنوات وزرنا من اجلها كندا ووزير داخليتها لان كندا تعطي كل مهاجر ١٦٠ اكراً من الارض مجاناً لزراعتها · وانهضنا الهمم الى هذا الامر فلم نكن نمر في مدينة في طريقنا الاَّ ونرى الاخوان المهاجرين قد اصبحوا يتحدثون عن الزراعة وبعضهم يستعدلها ·فتمَّ المقصود من توجيه انظار نزالة برمتها الى هذا الموضوع وقبل كثيرون منها على شراء المزارع والاراضي وذكرنا اسماءهم في حينه واحوالهم صائرة من حسن الى احسن ·ولا عجب فان الارض امُّ البشر الحنون

وهي جوادة كريمة تدر الخير والثروة على كل من يُعنى بها . ثم شرعنا في ان نفعل لدى حكومة الولايات المتحدة ما فعلناه لدى حكومة كندا من طلب اراض مجانية في ولايات معتدلة الهواء فنشرنا في الجامعة عريضة الى الحكومة الاميركية في هذا الشأن وقع عليها اكثر من الف نفس من اخواننا المهاجرين واعادوها الينا . ولكن فاجأنا الدستور وطلعت شمس الحرية في بلادنا فما وجدنا من حقنا بعدها ان نكون من اسباب ترك السوريين جنسيتهم العثمانية بعد ان اصبحوا بالدستور وطنيين قولاً وفعلاً ذلك لانه يُشترط في اخذ الاراضي (المجانية) للزراعة في اميركا ان يكون الآخذ اميركياً او داخلا في الجنسية الاميركية . فراينا ان من حق وطننا علينا ان لا نكون بعد تحريره سبباً في خسارته بعض ابنائه واثبات اقدامهم في ارض الغربة وقد اصاب يومئذ رصيفنا الكريم المقتطف بقوله في هذا الشأن ان الاولى بعد الدستور حث المهاجرين على استعمار بلادهم قبل استعمار البلاد الغريبة . وهذا هو السبب في عدم تقديمنا العريضة يومئذ الى الحكومة الاميركية . ومع ان الاخوان الادباء الذين وقعوا عليها لم يفوضوا الينا حق التصرف بها فقد شرعنا اليوم في ان نبعث باوراقها الى جناب العلامة سليمان افندي البستاني احد نواب سوريا في مجلس المبعوثان ونائب رئيسه لا لامر سوى ان يطلع حضرته عليها ويُطلع عليها ايضاً رصفاءه من نواب سوريا وغيرهم ليعلم حضراتهم ان وراء البحار شعباً كبيراً مستعداً الآن يعمل في الزراعة لاحياء بلاد غير بلاده وارضٍ غير ارضه فكيف به لو سهلت الحكومة له سبل العودة الى بلاده لاستعمارها بنفس الشروط التي تستعمر بها اميركا ارضها وهي اعطاء الارض مجاناً للطالبين وتمهيدها لهم سبل العمل فيها . فالمأمول ان تفتح الحكومة العثمانية لابنائها المهاجرين هذا الباب في ما بين النهرين لتنفع وتنتفع معاً . وكثيرون منهم منتظرون ذلك اليوم كما اخبرونا شفاهاً . وقد قال العلامة البستاني في كتاب لحضرته الى الجامعة نشرته في نيويورك انه سيبذل جهده ليخدم من هذا الوجه المهاجرين والمقيمين الخدمة التي يتوقعونها . اخذ الله بيده ومثله من يرجى ويؤمل

مستقبل عظيم لما بين النهرين

ونقل البرق بالامس ان السير ويليم ويلكوكس الذي عهدت اليه الحكومة العثمانية امر اصلاح الري والارض فيما بين النهرين القى خطبة في مجتمع عقدته الجمعية الجغرافية في لندن فقال ان الاصلاحات المنوي انشاؤها في ما بين النهرين ستجعل تلك البلاد مزاحمة لمصر كما كانت مصر تزاحمها في التاريخ القديم وان غلتها اي ارض ما بين النهرين ستكون مليون طن من الحبوب ومئة الف طن من القطن وانتاج عدة ملايين من الخراف والبقر في السنة .

وانه سينشأ لهذا الغرض خط حديدي بين دمشق و بغداد تقدر نفقته بمليوني جنيه ومائتي الف جنيه . وقال في موضع آخر ان مجموع النفقات التي تحتاج اليها تلك الارض لجعلها جنة غناء ١٠٣٤٠٩٠ ليرة عثمانية في جهات نهر الفرات و ١١١٠٤٨٠ ليرة عثمانية في جهات نهر الدجلة فضلاً عن ١٥٣٢٧٠٠ تمس الحاجة اليها بعد ذلك في النهرين . وان انشاء الخط الحديدي بين دمشق و بغداد الذي تقدمت الاشارة اليه يتمّ في عامين بعد تأريخ الشروع فيه واما اعمال الريّ والاصلاحات المذكورة فتقتضي ٨ سنوات. وفي بدء الأمر يعود مليون هكتار من الارض الى المدنية والحضارة كما كانت في زمن الفرس واليونان والرومان وتبقى بعد ذلك ٤ ملايين هكتار من الارض حول الدجلة والفرات تُستعمر تدريجاً

عود الى مسألة رأس المال

فهذا مستقبل عظيم للارض العثمانية والراغبين في استعمارها . ولولا هذا المستقبل المحقق اذا استمر اهل الاصلاح جارين على الخطة التي يجرون عليها وحاجة البلاد العثمانية الى همم ابنائها وايديهم وأموالهم في تلك الارض التي لا بد ان تُفتح للحضارة بعد الآن لكننا نقول لكل ذي رأس مال هذا القول الذي يعيدنا الى الموضوع الذي نحن في صدده وهو : اذا كنت ذا رأس مال وتريد المهاجرة فاحمل راس مالك واذهب حالا وابذره في ارض اميركا ولا تعمل فيها عملا آخر غير هذا العمل لانه خير الاعمال فيها فترده اليك تلك الارض العظيمة الواحد مئة والمئة الفاً والالف عشرة آلاف. ان (الخيارة) الواحدة تباع في اسواق اميركا بقرش صاغ وكفى . فثروة الزراعة وتربية المواشي فيها فوق كل ثروة وقد جمع الايرلنديون والالمانيون منها في اميركا ملايين من الريالات . ولقد احسن رصيفنا الاتحاد المصري الاغر في نصحه بعد ذكره مشروع الجامعة للمهاجرين الذين يستمرون على المهاجرة حتى بعد الدستور ان يتخذوا الزراعة في اميركا عملا لهم الى ان تُفتح ابواب الرزق في بلادهم .

ان المهاجرة كانت ومازالت في الاض قوة من قوى الامم ومنفذاً لنشاطها ومصالحها ولكل أمة كبرى مستعمرات تحث ابناءها على المهاجرة اليها لتعميرها . فليس المراد بقولنا « ابحث وحاذر قبل ان تهاجر » تثبيط العزائم عن المهاجرة وقتل الاقدام في النفوس وخصوصاً في النفوس الشرقية التي لا تزال في ابتداء شوطها فيه . ولكن المراد تنظيم المهاجرة الى اميركا وتدبيرها وصرفها في الطرق التي تؤدي الى الغاية . ولا يخفى ان الامم التي تخرج جزءاً منها الى المهاجرة تستهلك بعض هذا الجزء وذلك بسقوطه في ميدان الجهاد ويبقى لها

الباقون اقوياء ولكن يُشترط في هذا ان تكون الطريق مخطوطة خطة صحيحة يستفيد منها سالكها كل مايستفيده الرجل القوي الذي يعمل عملا صحيحاً ويضعه في موضعه . واذا كانت تلك الخطة صحيحة ونتيجتها اكيدة فالامة يقلُّ فيها عدد المستهلكين ويكون من يبقى لها قوياً قوة حقيقية فضلا عن ان الجيل الاول يكفي نفسه بصحة خطته عذاباً وعناء وشقاء . لما نظرنا في مرسيليا والهافر وجنوي وفي البواخر الوف المهاجرين اوروبيين واسيويين وافريقيين فضلاً عن السوريين يزحمون بعضهم بعضا وعلى وجوههم دلائل الاهتمام واشتغال البال وفي حركاتهم وسكناتهم حتى اناشيدهم مايتفطر له الجماد وكلهم مسرعون بقلوب ملؤها الخوف والرجاء والألم والامل الى دار اليسر والثراء لالقاء دلوهم في الدلاء لم نتمالك ان صحنا كما صاح موريس دوناي الروائي الفرنسوي الطائر الصيت في روايته « العودة من اورشليم » فان بطل هذه الرواية وهو اسرائيلي شاهد ابناء وطنه مئات مئات وراء سور سليمان في اورشليم يبكون ويندبون هيكلهم وامتهم وتاريخهم فصاح « بعد هذا المنظر سأقف حياتي لخدمة هؤلاء التعساء »

ومن راى اوقيانوس المهاجرة الى اميركا تقذف امواجه البشر الى تلك القارة الوفاً وملايين بعضهم للتعب والفناء وبعضهم للراحة وحسن المعيشة لا يتمالك ان يتمنى بعد عودته ان كل مريد للمهاجرة يحسن تدبير نفسه ورسم خطته واتخاذ عدته قبل مهاجرته . لاسيما وان مستقبل بلادنا سيكون عظيماً

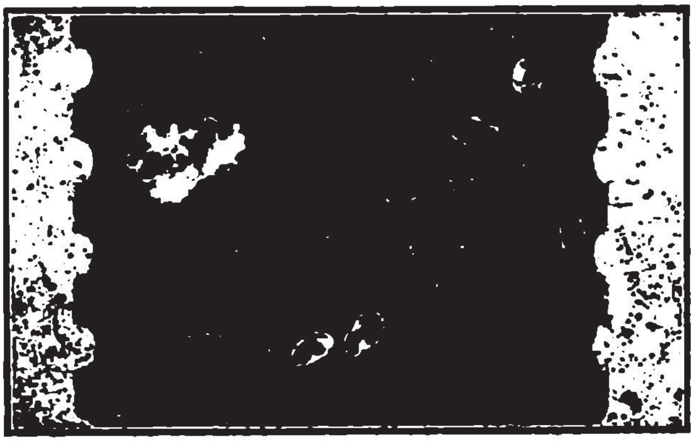
السينماتوغراف والطب والميكروبات

اكتشاف جديد * ان الميكروبات التي لا تُرى بالعين المجرَّدة اصبحت منظورةً تتحرك وتتحارب امام الرائي كما تتحرك الصور المتحركة * تأثير هذا الاكتشاف على مستقبل الطب

شغل السينماتوغراف (الصور المتحركة) ابناء العصر صغاراً وكباراً وراج لديهم رواجاً عظيماً . وما كان يخطر في البال ان هذا التمثيل التصويري الذي نشأ للفكاهة وترويح النفس ينقلب وسيلة علمية الى الاكتشاف العلمي والدرس الفسيولوجي والبكتريولوجي . وقد انقلب الآن ودخل في عالم العلم واصبح من آلات العلماء

وتفصيل الخبر ان الدكتور كومندون الفرنسوي وجد طريقة لتصوير ميكروبات الامراض والجراثيم على الاطلاق تصويرًا متحركاً بالسينماتوغراف فاصبح العلماء يقدرون على مشاهدة الجراثيم وهي تتحرك في الدم وتتقاتل وتتنازع مشاهدات طويلة يمكنهم معها ان يدرسوا ما فاتهم درسه من طبائع بعض الجراثيم وحركاتها . وقد عدوا هذا الاختراع من انفع الاختراعات لعلم الطب

※ الهيبرميكرسكوب ※ هي الآلة التي امكنهم تصوير الميكروبات والجراثيم بها تصويرًا متحركاً يمثلها في معيشتها تمثيلاً كاملاً . وهي تكبرها عشرة آلاف مرة فتظهر بها البعوضة مثلاً كأنها بناية ذات ست طبقات كما قال المسيو فيللر . وقد جعلوا النور الذي يلقى على بلاتين الهيبر ميكرسكوب لانارة الجراثيم بغية تكبيرها وتصويرها — جعلوه يُلقى عليها منحنياً لا افقياً او على موازاة محور الآلة كما يفعلون في الميكرسكوب وذلك لكي لا يحتاجوا الى تلوين المادة المراد مشاهدتها بل يبقى لها لونها الطبيعي وتبقى جراثيمها حية والسينماتوغراف يصورها بحسب ألوانها . وصيانة للجراثيم من الموت اذا أُطيل عرضها على النور الملقى عليها كما يقع في الميكرسكوب جعلوا لها آلة تديرها وتخفيها هنيهة عن النور في اثناء التصوير لابطال فعله فيها فضلاً عن جعلهم النور ينفذ خزانًا فيه ماء قبل نفوذه اليها فيضعف تأثيره عليها . وهي في كل حال لا تستمر معروضة امام النور الاَّ نيف ونصف ثانية



الميكروبات والجراثيم مصورة صورًا متحركة

※ احدى الصور ※ وقد رسمنا هنا احدى الصور المصورة بالهيبرميكرسكوب . وهي رسم نقطة من دم عصفور حُقن بجراثيم داء يفتك بدجاج البرازيل . ولما تمَّ التصوير

الاسينماتوغراف مركباً على الهيبرميكرسكوب خرجت الصورة وهي تمثل مايلي

ترى كريات الدم الحمراء ظاهرة في الرسم وتشاهد ميكروبات وباء الدجاج البراز يلي بشكل خيوط كما ترى · وتراها امامك تتحرك صاعدة وهابطة بسرعة وهي تارة تتقدم وطوراً تتأخر واحياناً تتصادم فيدخل بعضها في بعض فتظهر مثناة او مثلثة وتبقى متصلة بعضها ببعض وتارة تصطدم احداها باحدى كريات الدم الحمراء فتغوص فيها وتحاول التملص فلا تستطيع فتبقى سجينة وتارة أخرى تغوص في كرية حمراء فتنفذها وتخلص · وترى في الزاوية احدى الكريات البيضاء تتقدم ببطء وهي ملتفة حول نواة واحياناً تصادف هذه الكرية في طريقها الكرية الحمراء التي اصطدم بها ميكروب الوباء وجرحها وكاد يتلفها فتحيط بها الكرية البيضاء وتشرع في افتراسها

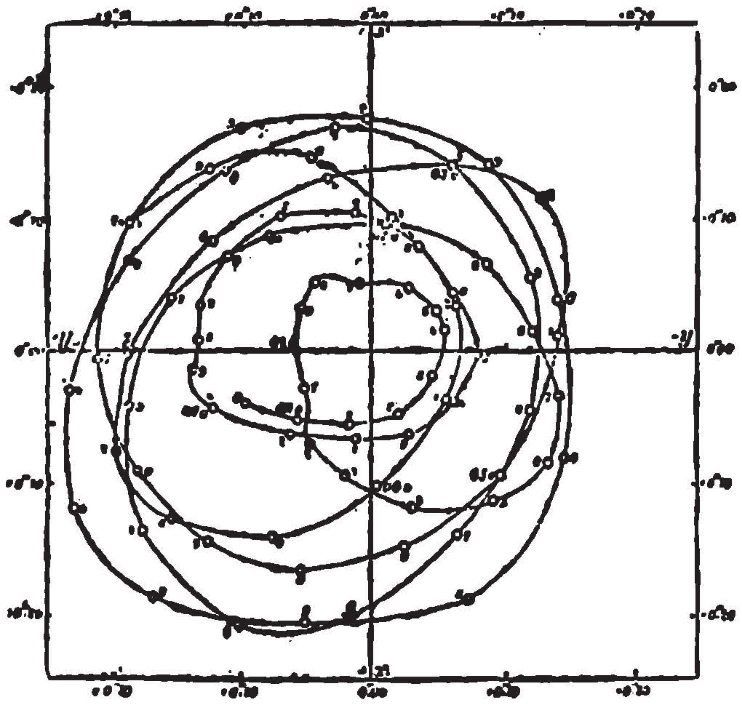
وقد استعان المخترع بمحل باته واخوانه صاحب الصور المتحركة المشهور في اوروبا واميركا ومصر ايضاً · فهل نشاهد قريباً جراثيم التدرن الرئوي والكوليرا والطاعون وغيرها من الاوبئة التي تجتاح الانسانية ممثلة حياتها بالصور المتحركة في سينما باته في مصر تمثيلا علميا صحيحاً فنراها امامنا كما تكون في الحقيقة في ابدان المصابين بها· يظهر ان طور العجائب والغرائب في الارض لم يختم بعد . وان ابناءنا واحفادنا سيرون اموراً عظيمة .

اكتشاف دورة جديدة للارض

نقطة القطب ليست بثابتة * رسم تنقلاتها * فاذاً للارض
حركة جديدة لم تكن معروفة * السبب الذي
من اجله لم يجد بيري اثراً لكوك ····

لما تنازع بيري وكوك منذ بضعة اسابيع في ايهما سبق الى القطب الشمالي كتب العالم الفلكي المسيو فلامريون المشهور فصلا هذه خلاصته

ان الارصاد الفلكية اثبتت منذ حين ان نقطتي القطب الشمالي والقطب الجنوبي ليستا بثابتتين بل تتغيران شهرا فشهرا وعاما فعاما · وقد رسم المسيو فلاماريون الرسم الذي رسمناه هنا ليدل على مبلغ ذلك التغيير ومكانه وهو رسم مساحته ١٢ متراً من الارض في القطب الشمالي وهي المسافة التي تنقلت فيها نقطة القطب الشمالي بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٩ ولم تخرج عنها كما قال ·



مواقع انتقال نقطة القطب الشمالي في عشر سنوات

﴿سبب هذا التنقل﴾ وقد بحث الباحثون في اسباب هـذا التنقل فحصروها في مايلي · تغير مركز الثقـل في الارض بسبب تغير مجاري الاوقيانوس ومراكز آكام الثلوج والمد والجزر الشديدان والفواعل الطبيعية في جوف الارض · ولكنهم لم يحققوا احدها بعد ·

﴿حركة جديدة للارض﴾ واذا صح هذا التنقل في نقطة القطب فيكون للارض حركة جديدة كانت مجهولة · وتصبح حركات الارض ١٢ حركة لا ١١ حركة منها حركة الارض على نفسها في ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة وحركتها السنوية حول الشمس في ٣٦٥ يوماً وربع يوم وحركتها الشهرية من تاثير القمر وحركتها من تغيرات القمر كل ١٨ سنة ونصف سنة وحركتها حركة اهتزازية بسبب تاثير السيارات الاخرى عليها وحركتها بسبب تغير مركز الثقـل في النظام الشمسي وحركتها مع جميع اعضاء النظام الشمسي حركة عامة الخ الخ · وتضاف اليها الآن حركتها على نفسها حركة انتقال نقطتي القطب في سطحيها

ولما كان كوك يقول انه اكتشف القطب الشمالي قبل بيري بسنة فلا يبعد اذا كان كلاهما صادقاً ان تكون النقطة التي بلغها كل واحد منهما وكانت هي القطب في يوم وصوله بعيدة عن الاخرى بضعة امتار · ولذلك لم يقف احدهما على آثار الآخر ····

عود

الى فلسفة نيتش

والى تأريخ رنان

منذ شرعنا والجامعة في نيو يورك في تلخيص فلسفة الفيلسوف نيتش ظهر في فرنسا ثلاثة كتب في شأنه . الاول كتاب كتبه المسيو اميل فاكه احد اعضاء الاكاذمية الفرنسوية عنوانه (en lisant Nietszche) والثاني للمسيو دانيال هاليفي وعنوانه (حياة فردريك نيتش) والثالث كتاب لنيتش نفسه وهو آخر كتبه وربما كان احدّها واشدها تطرفاً وغلواً وعنوانه (ecce Homo)

وقد طالعنا الكتاب الاول بين كندا وشلالات نياغرا والثالث في اثناء اقامتنا في باريز واما الثاني فلم نطلع عليه بعد لانه ظهر في هذا الشهر . قالت جريدة الذنيا في تقريظها له « مضي على مولد نيتش ٦٥ سنة ومضى على وفاته تسع سنوات ومع ذلك فشهرته آخذة في الازدياد وتأثيره آخذ في التعاظم واليه يُعزى ردّ الفعل الذي حدث في افكار أهل أوروبا في شأن الاشتراكية » وروت في موضع آخر ان شقيقة نيتش مدام فورستر نيتش اعلنت عزمها على انشاء متحف لآثاره في نفس المنزل الذي كان يعيش فيه فانهالت عليها الاموال من جميع انحاء العالم فانشأت بها المتحف وجمعت فيه جميع آثار الفيلسوف وزاد لديها من المال مبلغ كبير جعلت من فائدته خمس جوائز سنوية قدر الواحدة ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ مارك تُدفع لمن يمتاز بمعيشته بحسب مبادىء الفيلسوف اخيها اي ان يعيش مسروراً فرحاً بالحياة ويقوي نفسه ويحب ذاته . . .

ومهما قيل في فلسفة نيتش مدحاً أو ذماً — ومادحوها وذاموها كثيرون — فاننا بعد مطالعتنا خمسة من كتبه التي هي اهم ما كتبه ما زلنا نعتقد بما جهرنا به منذ سنتين يوم شرعنا لاول مرة في تلخيص فلسفته وهو ان مبادىء هذا الرجل تحتوي على كثير من الحقائق الضرورية للحياة وعلى ابناء الشرق ان يطلعوا عليها ليشددوا نفوسهم بها . ونريد بهذه المبادىء

تلك التي صب فيها المؤلف كل ما أعطي من قوة النفس وحماستها لتحبيب الحياة والنشاط والقوة الى الناس وخلقهم بهذه الصفات خلقاً جديداً ومحق الانحطاط في النفوس والهمم والامم . كما انها تحتوي أيضاً على كثير من المبادىء التي لا نرى الآن موضعاً لها في الشرق ولا يمكن العمل بهـا في هيئة اجتماعية تُسمى هيئة اجتماعية بحسب المفهوم اليوم من هذه الكلمة . ولما كنا شرعنا في العودة الى تلخيص فلسفة هذا الفيلسوف فسنستمر في الخطة التي اتبعناها من قبل وهي ان نلخص منها كل مالا يمس الاديان والعادات الحاضرة لان غرضنا استخراج لباب القوة والحماسة من كتبه والاعراض عما بقي .

وكانت الجامعة قد شرعت ايضاً من قبل باستخراج (تاريخ اصول الديانة المسيحية) لمؤلفه الفيلسوف المستشرق ارنست رنان ونشرنا منه الجزء الاول وهو تاريخ المسيح بعد حذف ما لا يحسن نشره وبقيت اربعة اجزاء بدأنا باولها وهو تاريخ اعمال الرسل فلخصنا فيها بضعة فصول منه ثم انتقلت الجامعة الى نيو يورك ولم نعد اليه . على اننا سنشرع في اتمام هذا الكتاب الذي كنا بدأنا في تعريبه ولا يصح ترك تعريبه ناقصاً بعد الابتداء . وسنجري فيه على نفس الخطة التي اتبعناها في امثاله من الكتب التي فيها ما يُقال ومالا يُقال وما يُكتب وما لا يُكتب . اي اننا نقصد استخراج الفوائد التاريخية والفلسفية والاجتماعية التي لا يمكن ان توجد في مصادر غيرها ونضرب صفحاً عما بقي مما لا يفيد احداً نشره

زاراتوسترا

وهو أبلغ كتب الفيلسوف نيتش وأجلها
كتبه باسلوب رواية جعل بطلها (زاراتوسترا) الهائل

على ان ما نشرناه في ما سبق من فلسفة نيتش كان تلخيصاً لبعض مبادئه جمعناها من عدة صفحات في عدّة من كتبه لنتمكن من ان نبسط للقارىء جميع جوانب نفسه . وسنستمر في هذا السبيل ولكنا نقرن تلخيص افكاره بتعريب روايته المشهورة التي سماها « هكذا قال زاراتوسترا » والتي هي ابلغ وادق ما خرج من قلمه وبعضهم يقول انها اجمل ما كتب باللغة الالمانية الا ما كتبه الشاعر المشهور جوت الذي كان معاصراً لنيتش وكان نيتش يقول عنه « انه الالماني الوحيد الذي أُحبه واحترمه » ولكن هذه الرواية دقيقة للغاية ولا يفهم رموزها ومعانيها الاّ الذي يطيل النظر فيها ويعلم اغراض المؤلف ومبادئه . وكانها

لسمو مواضيعها وغرابة آرائها وشدة وطأتها وحدّة لهجتها واحاطتها بجميع افكار البشر ومبادئهم — قصيدة متناهية في الاستطالة رأسها في اعلى السماء وطرفها الآخر في اسفل الارض نسيج بردها اله لا انسان لانه يتكلم و يكتب كمن في يده سلطة الآلهة و يحطم مبادىء البشر وكل معروف ومالوف لديهم تحطيماً دوت له الدنيا . ثم هولا يكتفي بالهدم بل يحاول البناء فيضع مكان ما حطمه مبادىء لم يقلْ بها احد قبله وقد بالغ فيها حتى قيل ان المرض الذي اصابه قبل وفاته وافضى الى اصابته باختلال الدماغ كان ذا تاثير على تلك المبادىء وسبب تلك المبالغات . ولذلك جمع بعضهم فلسفة نيتش في قوله عنها « انها خليط من الجنون والحكمة » ـ والله أعلم بالمستقبل

وهذا أوان الشروع في تلخيص هـذه الرواية الغريبة التي جمعت خلاصة مبادىء الفيلسوف وأقامت العلماء وأقعدتهم في حينها وليس في عالم العلم والأدب في هذا الزمان مفكر الا واطلع عليها وفكر في مواضيعها .

تمهيد زاراتوسترا

١

« لما بلغ زاراتوسترا الثلاثين من عمره هجر وطنه وبحيرته واتجه نحو الجبل . فأقام فيه عشر سنوات يتمتع بعزلته ويخلو بنفسه دون أن يسأم العزلة والخلوة . ولكنه في ذات يوم تغير قلبه فبكر بكور الغراب واتجه نحو مشرق الشمس وطفق يخاطبها قائلاً :

« يا أيها الكوكب العظيم . ماذا كانت لذتك لولا الأشياء التي تنبسط امامك وتنيرها بنورك . لقـد انقضت عشر سنوات وانت تطلع عليَّ في مغارتي هـذه ولولا انك تنيرني وتنير نسري وافعاي (١) لعراك الضجر والسآمة

نحن ننتظرك في كل صباح ونأخذ منك مايفضل عنك، ونشكر لك .

ولكنني الآن قد ضجرت من عزلتي وحكمتي ضجر النحلة من عسلها اذا جمعت كثيراً منه . وأصبحتُ في حاجة الى ايد تنبسط الي لامنحها منحاً تجعل الحكماء من الناس يفرحون بجنونهم والفقراء سعداء بثروتهم .

ولذلك سأغوص الى الاعماق كما تفعل انت حين تغوص وراء البحار لتمحو الظـلام

---

(١) سترى فيما بعد ماذا يقصد بالنسر والافعى

بنورك . اني سائر مثلك (لأغيب) في وسط الناس الذين انا هابط اليهم

فبارك فيَّ ياصاحب العين الساكنة التي ترى سعادة من لاحد لسعادته ولا يعروها الحسد .

بارك في الكأس التي ستفيض . وفي الماء الفضي (١) الذي سيجري منها حاملا للبشر جمال مسراتك .

ان هذه الكاس تبغي الفيضان ثانية . وزارتوستره يرغب في ان يعود انسانًا »

وهكذا بدأ انحطاط زاراتوسترا

٢

فهبط زاراتوسترا من الجبال ولم يلقَ في هبوطه احدًا . ولكنه ما بلغ الغابات حتى راى امامه شيخًا كان يأوي الى كوخه المقدس في الغاب وخرج في طلب اصول الاشجار . فقال هذا الشيخ

« اتذكر انني رأيت من قبل هذا المسافر . فقد انقضت عليه اعوام وهو يمرّ في هذا المكان . وكان اسمه زاراتوسترا ولكني اراه قد تغير

وقد كنتَ من قبل تحمل الرماد الى الجبال فهل بدا لك اليوم ان تحمل النار الى الاودية والمدن . الا تخشى عقاب موقدي النار

نعم هذا زاراتوسترا . ولكن ليس في شفته ما كان فيها من تقلص الاشمئزاز . هذا هو ولكنه قد تغير واصبح طفلا . بل انتبه وافاق . فما جئت تفعل الآن بين النيام ؟ لقد كنت تعيش في عزلة تامة كما يعيش المرء في وسط البحر وكانت مياه هذا البحر تحملك فالويل لك اتريد الآن الوصول الى الشاطىء؟ الا تخشى أن يترضض جسمك على صخوره

فاجابه زاراتوسترا « انني احب البشر »

فقال الشيخ الحكيم « لم اتبطن الغابات واختار العزلة فيها الا لانني احببتهم حبًا شديدًا . فحبهم هو الذي قادني الى هنا . اما الآن فانني احب الله ولا احب البشر لان حب البشر قتال . وما الانسان عندي الا كائن شديد النقص

---

(١) في الاصل (الذهبي) ولكن لفظ (الفضي) اقرب الى اللغة العربية . وغني عن البيان اننا نلخص الكتاب تلخيصًا ملتزمين الاصل ما امكن الالتزام

فقال زاراتوسترا « ماجئت لاحبهم ولكنني جئت لامنحهم منحة »

فقال الشيخ الحكيم لاتمنحهم شيئاً بل اسلبهم شيئاً وساعدهم على حمله · وهذا انفع الامور لهم · على شرط ان ذلك ينفعك ايضاً · واذا شئت منحهم شيئاً فتصدق عليهم قليلاً ولا تعطهم الا اذا سألوك

فقال زاراتوسترا · كلا لا اتصدق على احد لانني لست فقيراً الى هذا الحد

فاخذ الشيخ يضحك من زاراتوسترا ثم قال : فابذل جهدك اذاً في ان تجعلهم يقبلون كنوزك لانهم لا يركنون الى المعتزلين المنقطعين ولا يصدقون اننا اذا قصدناهم نقصدهم لاعطائهم شيئاً · وانّ وقع قدمي المعتزل المنقطع يدوي في آذانهم دوياً غريباً · فمثلهم في هذا مثل الراقد في فراشه و يسمع في الشارع قبيل الصباح وقع اقدام في الطريق فيتساءل اين ذاهب هذا اللص — ذلك لانه يظن كل معتزل مبكر لصاً

فلا تذهب الى الناس واستمر مقيماً في الغاب · بل اذهب الى الوحوش واصحبها ولا تذهب الى الناس · لماذا لا تفعل فعلي فتكون حيواناً بين الحيوانات وطائراً بين الطيور

فقال زاراتوسترا · وما تفعل ايها القديس في الغابات

فاجاب الحكيم · انني اصنف اناشيد وانشدها وفي اثناء نشيدها اضحك وابكي واسر النجوى واجهر · و بذلك احمد الله واشكره · ولكن اخبرني ماهي المنحة التي جئتنا بها

فلما سمع زاراتوستره كلام الشيخ القى عليه تحية الوداع وقال « ماذا ينتظر مثلك من مثلي ؟ ارى الاولى بك ان تتركني انطلق في سبيلي على عجل لئلا اسلبك شيئاً بدل ان اعطيك »

وهكذا افترق الاثنان وهما يضحكان احدهما من الاخر ضحك الاطفال

ولما اصبح زاراتوسترا منفرداً قال في نفسه وهو سائر في سبيله « اهذا ممكن ؟ كيف لم يسمع بعدُ هذا الشيخ القديس في غابه ان ذلك المبدأ قد مات »

(ستأتي البقية اذ ننشر في كل جزء يلي ٦ او ٨ صفحات من هذا الكتاب)

رواية مريم قبل التوبة

لم ننشر تتمة هذه الرواية في بدء هذه السنة لرغبتنا في ان نبدأ السنة برواية جديدة يقرأها قراؤنا القدماء ومن جدّ منهم · ولذلك سننشر في الجامعة رواية جديدة · اما (مريم قبل التوبة) فسنتم طبعها على حدة ونعلن ذلك حين فراغنا منه

الشعر القديم

بين المعتمد بن عباد سلطان الاندلس وابنه الراضي

* شعر الملوك وآراؤهم في قوة الدول

نشرنا فيما سبق للمعتمد بن عباد حين كلامنا عن زوال دولته في الاندلس شعراً استحسنه بعض الافاضل ٠ وقد عثرنا له على أبيات اخرى جميلة يخيل اليك وأنت تقرأها انه أب من آباء الزمن الغابر يلوم ابنه لاشتغاله بالعلم عن اعباء الحياة وشواغلها ٠ وكان العلم من قبل نظرياً ولم يكن من شأنه ان يعدّ معدات القوة للمملكة كما هو شأن العلم اليوم الذي يخترع الاختراعات التي تزيد في قوة الجيوش والاساطيل وتجعل الامة السابقة في هذه الاختراعات منيعة الجانب ٠ ولذلك فالمعتمد معذور في ما كتبه لابنه ٠ ولكن تأمل في حلاوة تهكم الملوك الشعراء وتخلصهم بعد ذلك الى الجد ٠ وخلاصة الرواية ان المعتمد أراد ان يقدم ابنه الراضي على جيش لمحاربة « بادس بن حبوس » في غرناطة فتمارض الراضي على ابيه واعتذر لاشتغاله باصناف العلوم واعتكافه عليها ٠ فخرج المعتمد بنفسه لمحاربة عدوه وتخلف ابنه الراضي فهزمه العدو فعاد المعتمد الى اشبيليه وهجر ابنه الراضي فكتب اليه ابنه الراضي يقول :

لا يكبرنك خطب الحادث الجاري ... فما عليك بذاك الخطب من عارِ
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته ... ان خانه حد أنياب واظفار
عليك للناس ان تبقى لهم سنداً ... وما عليك لهم اسعاد أقدار
لو يعلم الناس حقاً ان تدوم لهم ... لم يتحفوك بشيء غير أعمار

فاجابه المعتمد

الملك في طي الدفاتر ... فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلماً ... وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا ... رف تهزم الحبر المقامر
واطعن باطراف اليرا ... ع نصرت في ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا ... ة مكان ماضي الحد باتر
او لست اسطاليس ان ... ذكر الفلاسفة الأكابر

وكذاك ان ذكر الخليـ ـل فانت نحوي وشاعر
وأبو حنيفة ساقط في الرأي حين تكون حاضر
من هرمس من سيبويـ ـه من ابن فورك اذ تناظر
هذي المكارم قد حويـ ـت فكن لمن جاراك شاكر
واقعد فانك طاعم كاس وقل هل من مفاخر
لحجبت وجه رضاي عنـ ـك وكنت قد تلقاه سافر
أوَلستَ تذكر وقت ور قة حين قلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه وابوك كالضرغام هادر
هلا اقتديت بفعله وأطعته اذ ذاك آمر
قد كان أبصر بالعوا قب والموارد والمصادر

فاجابه ابنه الراضي

مولاي قد اصبحت كافر بجميع ما تحوى الدفاتر
وفللت سكين الدواة وظلت للاقلام كاسر
وعلمت ان الملك والـ ـعلياء في ضرب العساكر
لاضرب اقوال باقـ ـوال ضعيفات مكاسر
قد كنتُ أحسب من سفا ه انها اصل المفاخر
واذا بها فرع لها والجهل للانسان غادر
وهجرتُ من سميتهم وبجدتُ انهم اكابر
ان كان في فضل فمنـ ـك فهل لذاك النور سائر
او كان في نقص فمنـ ـي غير ان الفضل غامر
ضحك الموالي بالعبيـ ـد اذا تواصل غير ضائر
لا تنسَ يا مولاي قو لة ضارع الاقوال فاجر
ضبط الجزيرة عند ما نزلت بعقوتها العساكر
ايام ظلتُ بها فريـ ـداً ليس غير الله ناصر
اذ كان يغشى ناظري لمع الاسنة والبواتر
ويصم آذاني بها قرع الحجارة بالحوافر
وهي الخضيض سهولة لكن ثبتُّ بها مخاطر

هب زلتي لبنوتي واغفر فان الله غافر

فلم يزده ذلك الا تمادياً في هجرانه فكتب اليه ايضاً

مولاي اشكو اليك داء اصبح قلبي به جريحاً
سخطك قد زادني سقاماً فابعث لي الرضا مسيحاً

فرضي عنه وادناه

حكاية

الصيني والبيضة والدجاجة

حكاية صينية ذات مغزى



زعموا ان صينياً من أهل الراي والفهم كان يعنى بتربية الدجاج وكان لديه منها طائفة سمينة تبيض له في كل اسبوع بيضاً غزيراً . ففي ذات يوم كان يقلب البيض ويعجب به فخطر في باله هذا السؤال : ايهما كان خلقه اولاً البيضة ام الدجاجة ؟ هل خُلقت البيضة اولاً ثم انتجت دجاجة ام خلقت الدجاجة اولاً وأنتجت البيض . وبعبارة اخرى : هل البيضة سبب ام مسبب . فحار في هذه المسألة وانقطع اليها يباحث فيها اصدقاءه وجيرانه ويقرأ الكتب العديدة توصلاً الى حلها . وكان جيرانه وعابرو السبيل يرونه مشتغلاً بها مهتماً لها ليله ونهاره . ففي ذات يوم مرَّ ببابه بعض المتشردين و رأوا اهتمامه وعلموا سببه فتغامزوا وانطلقوا في سبيلهم .

وفي صباح اليوم التالي نهض الصيني الى قفص الدجاج ليرى البيض الجديد ٠ فرأى القفص فارغاً لا بيض ولا دجاج فيه ٠ ذلك لان بعض اللصوص هبطوا الى البيت بينما كان صاحبه الصيني غارقاً في بحور من التأملات والابحاث في أصل البيضة والدجاجة فسرقوا مافي القفص من البيض والدجاج وانطلقوا دون ان ينتبه اليهم

مغزاه — ان من يشغل نفسه بالبحث في اصل الأشياء يفقد تلك الاشياء نفسها ٠

ولدى العرب مثل مشهور شبيه بهذا المثل ٠ وهو مثل عالم فلكي كان يرصد النجوم في ليلة ظلماء وهو سائر في الطريق فانتهى الى حفرة وسقط فيها فانصدعت قدمه ٠ فمرّ به رجل وقال له : ياهذا قبل ان تعلم مافوقك اعلم ماامامك لئلا تقع في التهلكة ٠

ولكن لو دري صاحبا هذين المثلين ان جميع الامور العظمى التي وجدت في العالم لم توجد الا بذلك الهوس في سبيل المجهول لقيدا مثليهما بشروط كأن يقولا مثلاً : يحسن بالدنيا ان يكون فيها أمثال ذلك الصيني والعالم الفلكي بازاء من فيها ممن همهم مصروف الى ماامامهم من المعلومات والمحسوسات ٠ اولئك يعملون وآلتهم الفكر وهؤلاء يعملون وآلتهم المادة ٠ ولا تكمل الحياة ويتم فيها فعل الارتقاء الا اذا استوفت الامرين وجمعت بين الطرفين

لكن في بلاد ضعيفة كبلادنا الشرقية نرى ان الاولى تقديم آلة العمل المادي على آلة العمل الفكري اذا تعذر الجمع بينهما معاً ٠ لانه اذا أصاب الآن جميع العقول الثاقبة والقلوب الذكية هوس الفكر وهوى البحث في ماوراء المعلوم وتمكنا منها أدى ذلك الى ضعفها ووهنها لانها لم تقدر بعد على أن تخزن في نفسها أوفي مجموع الامة التي هي منه قوى ادبية أو مادية تحتمل هذا الانقطاع دون ان يصيبها مايقترن به عادةً من دوار وشدة وشذوذ من جهة وما يجرّ عليها ذلك الانقطاع من الذهول عن مصالحها التي فيها قوامها من جهة اخرى ٠ فالواجب الآن ان نقوى ونعمل أولاً ٠ وهذه اولى المراتب ويليها ماعداها ٠

فصول صغيرة خصوصية

بين الجامعة وقرائها

— يرى القراء اننا تركنا اسم الجامعة في مقدمة هذا الجزء كما كان في نيو يورك اي فوقه النسر الاميركي وشعار اميركا وهو النجوم التي تدل كل واحدة منها على ولاية من ولاياتها . وقد قصدنا بذلك ان نبقي في جسم الجامعة اثراً من اميركا يذكرنا كلما وقع نظرنا عليه تلك الرحلة البعيدة كما بقي في روحها اثر منها

— بقيت وكالة الجامعة في الاسكندرية كما كانت في يد صديقها جناب الاديب الفاضل السيد شمس الدين افندي الصحن التاجر في سوق الميدان بالاسكندرية . وحق عليها ان تهدي الى حضرته والى وكلائها شكرها العاطر للخدمة الودية صرفًا التي خدموها بها مدة ثلاث سنوات في اثناء غيابنا

— بعثنا بالجامعة الى مئات من مشتركيها الافاضل في اميركا الشمالية والجنوبية الذين طلبوها قبل سفرنا من نيويورك فضلاً عن الذين لم ينته حسابهم معها لان اشتراكهم لم يكن في بدء سنتها . وربما وقع خطاء ولم نبعث بها الى بعض قرائها واصدقائها الذين يحبون اقتنائها . فنرجو من كل من لا تصله الجامعة ان يذكرنا بخطاءنا وله الفضل

— لم نستطع المجاوبة عن جميع الرسائل التي تفضل بها الاصدقاء والقراء على الجامعة قبل ظهور هذا الجزء لاشتغالنا بأمر التأسيس فنرجو من فضلهم المعذرة مع قبول عاطر شكرنا وامتناننا لودادهم وغيرتهم . والكريم من عذر

— من كان في نفسه شيء واحب السؤال عنه في مايختص باميركا والمهاجرة اليها او في شؤونها العمومية واحوال مدنيتها فالجامعة تجاوبه عنه في صفحاتها بطيب خاطر

— كانت الجامعة تنشر في نيورك فصولاً عنوانها (شيخ كوني آيلند) تنشر فيها اخبار شيخ عربي مصري كان يأوي الى (كوني آيلند) بلدة الملاهي والملاعب قرب نيويورك . وقد لقينا هذا الشيخ في الجزيرة بمصر منذ اسبوع ولذلك سنشرع في الجزء التالي بنشر اخباره الجامعة بين الهزل والجد تحت هذا العنوان (شيخ كوني آيلند بين الاهرام وابي الهول)

— كل صديق للجامعة او محب لها ينشرها بين اثنين من اصدقائه اي يجلب لها

مشتركين اثنين فقط يضاعف فضله عليها . فالمرجو ان تقرأ هذا الجزء ثم تضعه بين يدي اصدقائك لحثهم على اقتنائها لتزداد قوتها في خدمتك وخدمة قرائها

— لما تسلمنا دفاتر مشتركي القطر المصري من جناب وكيل الجامعة العام في الاسكندرية وجدنا ان كثيرين من مشتركيها في القطر لم ينهوا حسابهم مع حضرته بعضهم عن سنة وبعضهم عن سنتين . ونظن ان هذه الاشارة تكفي فينهي حضراتهم حسابها الماضي بان يبعثوا بالبدل الى الادارة في مصر حوالة بوسطة لانه يصعب علينا جداً مزج حساب السنوات الماضية بحساب السنة الجديدة . وفي عزمنا قطع المجلة عن كل مشترك لا ينهي حساب السنة الماضية في مصر والخارج ايضاً

مطبوعات جديدة

(تأريخ الانسان الطبيعي)

ظهرت في الشهر الماضي ثلاثة كتب مفيدة تكلمنا عن احدها وهو (روح الاجتماع) في مقالة مسهبة في هذا الجزء . والكتاب الثاني لحضرة الكاتب الفاضل ولي الدين بك يكن وعنوانه (المعلوم والمجهول) والثالث (تأريخ الانسان الطبيعي) لحضرة الكاتب الاديب الياس افندي غضبان . وهذا الكتاب المفيد يتناول البحث في تأريخ الانسان في الارض وفروعه وقبائله وكل ما يختص به منذ طفوليته الى شيخوخته . والكتاب يقع في ٤٨٩ صفحة وهو مطبوع طبعاً منقناً ومزين بستة وثلاثين رسماً . واثر التعب في جمع تلك الفوائد وكتابتها ظاهر للقارئ فنثني على حضرة صاحب الكتاب اجمل ثناء ونرجو ان ينتفع القراء بكتابه

وقد اتحف حضرته الجامعة بالرسوم المنشورة في القسم الخامس من الكتاب وهي تمثل تكون الجنين منذ البدء الى ولادته

كما ترى في الصفحة التالية

تكون الجنين ونموه في جوف أمه

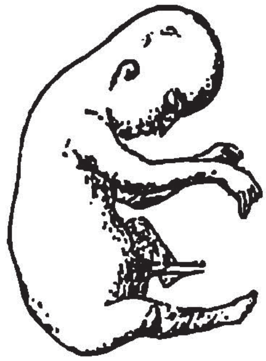
(في آخر الشهر الاول)　(في منتصف الشهر الثالث)



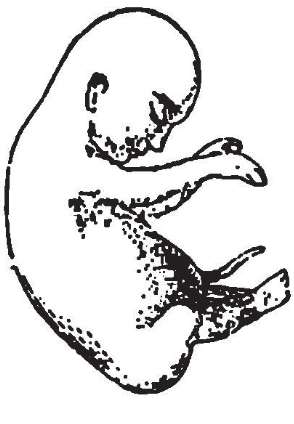



(الجنين في اليوم الخامس)　(في منتصف الشهر الثاني)





(في الشهر الرابع)　(في الشهر الخامس)　(في الشهر السادس)




(في الشهر السابع)　(في الشهر الثامن)



(في الشهر التاسع)



(قبيل ولادته)

﴿كتاب الدكتور شميل﴾ اعلن جناب العالم الفاضل الدكتور شبلي شميل عزمه على جمع كتاباته العلمية والاجتماعية في مجلدات وقد شرع حضرته في طبع المجلد الاول منها وعنوانه (فلسفة النشوء والارتقاء) وجعل قيمة الاشتراك فيه جنيهاً واحداً وهو سيظهر في وقت قريب . فنحث قراء الجامعة على اقتناء هذا الكتاب للاستفادة بعلم بطل من ابطال القلم في الشرق وجد من جدود ادباء هذا الزمن الذين كثيرون منهم استفادوا بعلمهم وهم يفخرون بمعاصرتهم لهم وان لم تتفق آراء بعضهم مع جميع آرائهم .

الصحة والمنزل والعيلة

النساء سياسيات

لماذا نالت النساء حقوقهن السياسية في فنلانده ونروج
ولم تنلنها في انكلترا

تقدمت نروج وفنلانده جميع امم الارض في اعطائهما النساء حق الانتخاب في السياسة . ولذلك سببان . اما السبب في اعطاء المرأة حق الانتخاب في نروج فهو ان شرب الكحول

كالابسنت وغيره تنشى فيها تفشياً عظيماً فكن في مقدمة مقاومي هذا المسكر الذي كان يؤيده تجاره وصناعه فضلا عن شاربيه ٠ ولما كان يحدث اقتراع في شأن منع الكحول ومراقبتها في بعض المدن كان مقاوموها يلجأون الى ادخال النساء في الاقتراع لمعرفتهم مقاومتهن لها ٠ وقد افلح النروجيون في مقاومة الكحول فاصبح يصيب الواحد منهم ٣ ليترات منها في السنة بعد ان كان يصيبه منها ١٦ ليترا ٠ ولما رأى الجمهور ان الفضل في ذلك للنساء وانهن أحسن التصرف في حق الاقتراع كافأوهن على ذلك بمنحهن حق التصويت ايضا في الانتخابات السياسية ٠ واما سبب اعطاء نساء فنلاندة حق الانتخاب السياسي ايضاً فقريب من هذا ٠ فان الحكومة الروسية أرادت ان تغير شرائع فنلاندة التي هي ولاية مستقلة استقلالاً اداريًا وتحلّ اللغة الروسية محل اللغة الفنلاندية فثارت خواطر الشعب الفنلاندي ولكنهم لم يجترئوا على المقاومة الصريحة خوفاً من الحكومة الروسية فتولى الأمر نساء فنلاندة فنهضن نهضة واحدة يخطبن و يكتبن ضد مشروع الحكومة وانبثثن في المعامل والمتاجر والمزارع الفنلاندية ينشرون روح المقاومة ٠ ثم اشتغلت روسيا بحربها مع اليابان في منشوريا فتركت هذا المشروع بتاتًا ٠ فبعد تركه تذكر الفنلانديون ماأظهره نساؤهم من الكفاءة وقوة الحجة ولطف المقاومة مع دقتها فكافأوهن على ذلك باعطائهن حق الانتخاب السياسي ومنهن الآن نائبات في مجلس النواب الفنلاندي

ولقائل أن يقول كيف تقدمت في هذا هاتان الامتان أمة كالامة الانكليزية مثلا التي استشهد كثيرات من نسائها في سبيل هذا الحق وملأن انكلترا والعالم صياحاً واحتجاجاً. ولكن لاصرار الحكومة الانكليزية على منع النساء من حق الانتخاب السياسي سبباً وجيهاً جداً غير الاسباب الظاهرة ٠ فان عدد النساء البالغات في انكلترا ٢٠ سنة ثمانية ملايين ونصف مليون وعدد الذكور البالغين ٢٠ سنة سبعة ملايين ونصف مليون ٠ وهم أقل عددا من النساء لان كثيرين من الرجال يخدمون خارج انكلترا في البحرية والسفن التجارية والجيش ٠ فاذا أعطي الانكليزيات حق الانتخاب السياسي كان عدد منتخبيهن فوق عدد منتخبي الرجال اي تكون الاكثرية في ايديهن والحكومة تخشى ان يكون لذلك تأثير على مستقبل انكلترا ٠ على ان بعضهم يقترح لحل هذا الاشكال ان يجعل للذكور الغائبين عن انكلترا حق التصويت في زمن الانتخاب بواسطة من ينيبونه عنهم وبذلك تبقى الاكثرية للرجال ويزول ذلك الخوف ٠

احد أولاد الاو باش



﴿ اولاد الاو باش ﴾ المراد هنا بالاو باش من يدعونهم في اوروبا (apaches) وهم الاشقياء الذين اعتادوا السطو على ابناء السبيل وسلبهم . ونساؤهم يفعلن فعلهم فانهن اذا جن الليل خرجن الى الشوارع البعيدة المنقطعة عن الناس وهاجمن النساء المنفردات او الرجال لسلبهم مامعهم . واحيانًا يكون معهن اطفالهن ولكن الاطفال لا يمنعون امهاتهن من السطو لان الامهات يلففن الواحد منهم في سلة كما ترى في هذا الرسم وللسلة عروة مستديرة لتعليقها بالشجر او في نافذة في اثناء سطوهن . فيشهد الطفل وهو في سلته معلقًا بين الارض والسماء شناعة فعل امه . ولو فقه وادرك لأبى بعد ذلك الرضاع من ثديها وردّ عنه قبلاتها

لعبة اميركية — اجمع طرابيش الحاضرين في احدى السهرات وضعها بعضها فوق بعض ثم استرع سمع الجميع وقل انك قادر على ان تأخذ قطعة خبز وتأكلها ثم بعد اكلك لها توجد هي نفسها تحت اي طربوش ارادوا من تلك الطرابيش . فيستهزئ الحاضرون بكلامك . اما انت فخذ قطعة الخبز وامضغها وابلعها ثم تناول الطربوش الذي عينوه لك فضعه على راسك . فتكون قطعة الخبز تحته طبعًا — اي في جوفك

الشوكة دليلة على المدنية — قالوا ان شوكة الطعام تدل على مبلغ ارتقاء كل مدنية واستشهدوا على ذلك بما يلي : ان شوكة المتوحشين مؤلفة من عود واحد يتناولون به الطعام . وشوكة شعوب الشمال مؤلفة من سنين وكذلك شوكة الصينيين . والشوكة الانكليزية مؤلفة من ثلاث اسنان . واما الشوكة الفرنسوية فمن اربع — وغني عن البيان ان صاحب هذا الكلام فرنسوي . . .

سؤال - كان على غصن شجرة خمسة طيور فقدم صياد ورماها بالرصاص فقتل منها ثلاثة فكم طائراً بقي . — بقي ثلاثة طيور — وكيف ذلك وهي خمسة — الطيور التي بقيت هي الطيور التي قتلت . واما الطائران الآخران فلم يبقيا بل فرا

الأخبار العلمية

❊ احدى غرائب العلم الجديدة ❊ يعرف القارىء اختراع المستر كورن في مونيخ للآلة التي دعوها (تليفوتوغرافي) والمقصود بها نقل الصور والرسوم بالتلغراف من بلدة الى أخرى على مسافة مئات من الكيلو مترات . ولكن في الشهر الماضي اعلن المستر رومر من برلين انه اخترع اختراعاً اغرب من هذا وهي آلة دعاها (تليفيزيون) اي الآلة التي ترى وتصور من بعيد . وقد تمكن ان يصور بها الاشخاص والاشياء وهو بعيد عنهم عشرات من الاميال وينقل صورهم بالتلغراف . وهذه الآلة غالية الثمن لانها مؤلفة من عشرة آلاف جزء فلا يقل ثمنها عن ستة ملايين فرنك ويقال انها ستكون تحفة معرض بروكسل العام في العام المقبل

❊ مدينة من ذهب ❊ هدمت مصلحة السكة الحديدية في المكسيك عدة منازل في بلدة كاناجواتا لتستخدم ارضها لمنافعها ولكنها لما فحصت الارض وجدت ان كل طن منها يحتوي على مائة غرام من الذهب ولما علم الاهلون بذلك شرعوا يهدمون منازلهم ويحفرون تحتها لاستخراج الذهب فاستخرجوا منها ما قيمته ٢٥٠ الف فرنك في زمن قليل

❊ استخدام حرارة الشمس ❊ عادوا الى المسألة القديمة وهي استخدام حرارة الشمس بدل الوقود بغية استعماله بدل الفحم الحجري اذا نفد او لانقاص نفقات الوقود كالفحم والحطب وغيرهما . وكانوا من قبل قد فكروا باستخدام حرارة الشمس بواسطة مرايا بلورية تجمع حرارة الشمس وتجعلها فعالة كما يشعل بعضهم السيكارة ببلورة صغيرة معروفة . ولكنهم عدلوا الآن عن هذه الطريقة لان المرآة التي مساحتها ٣٩٠ متراً لم تعط الا قوة عشرة احصنة فضلاً عن ذهاب هذه القوة اذا هبت ريح شديدة . على ان المستر شومان والمستر ويلسي وكلاهما من اميركا قد اتخذا طريقة أخرى فانهما انشأا احواضاً كالمراجل مغطاة

بالزجاج واطلقا فيها الماء يمتص حرارة الشمس بعد جمعها عليه بطريقة خصوصية . ومساحة حوض المستر شومان الموجود الان في فيلادلفيا (الولايات المتحدة) ١٨ مترًا طولاً و٦ امتار عرضًا وقد توصل به الى ابلاغ حرارة الماء الى الدرجة ١٠٠ وادار بخاره آلة عمودية صغيرة . وهو ينوي انشاء حوض طوله ١٢٠ مترًا ويقول ان هذا الحوض يعطي قوة الف حصان ولا تكون نفقة الحصان الا ثلاثة سنتيمات بدل ١٠ سنتيمات تنفق على الآلة البخارية النارية ثمنًا للفحم او الحطب ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد

﴿ منع احراق الموتى ﴾ حكمت في ٣٠ اكتوبر المحكمة العليا في فينا بأن احراق جثث الموتى بدل دفنها أمر غير شرعي فيجب ابطاله في الأرض النمساوية .

﴿ وحش جديد ﴾ عثروا في غابات مستعمرة غينيا الجديدة على وحش جديد لاذكر له في علم الحيوان وهو ضخم الجثة مخطط بالبياض والسواد وله رأس هائل . وقد شاهده أحد العلماء ولم يستطع اصطياده فسافرت من لندن بعثة لتصطاد واحدًا من نوعه

﴿ شركة بيع المواعظ ﴾ التي قسيسان في بتسبرغ (الولايات المتحدة) خطبتين في يوم أحد فدهش الناس لانهم وجدوا ان نص الخطبتين واحد وقد قال القس دانيال درشستر انه يعرف شركة غرضها تصنيف المواعظ والخطب وارسالها في البريد لمن يريدها في أي موضوع أراده فيمكن للانسان ان يكون خطيبًا بليغًا في موضوعه بشيء من المال

﴿ القطارات والتلغراف اللاسلكي ﴾ جُرب التلغراف اللاسلكي في قطار سار من نوارك (ولاية نيوجزري) بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة فأمكنه وهو سائر ان يخاطب ادارة شركته في نيويرك ويبلغها أخباره

﴿ النقش في الرمل ﴾ كانوا يتمثلون بالنقش في الرمل وفي التراب للدلالة على استحالة هذا النقش او سرعة زواله . ولكن احد شبان الاميركان يجمع الآن الرمال وينقش فيها نقوشًا تستوقف النظر وقد صوّروا نقوشة هذه في جرائد اوروبا

﴿ غرائب الجراحة ﴾ فعل الدكتور كاريل الفرنسوي المقيم في اميركا أفعالا جراحية ادهشت زملاءه في اوروبا فمنها انه أخذ كلبًا تهشمت احدى قوائمه فقطع الرجل المهشمة ثم قتل كلبًا آخر واخذ رجله ووصلها برجل الكلب المجروح فشفي هذا الكلب بعد مرور ٢٢ يومًا على العملية وقام يسعى على رجله المستعارة . وفعل مثل ذلك ايضًا في خواصر الكلاب والهررة اذ استبدل خواصرها بخواصر اخرى . وقد استدعاه بعض زملائه الى

اورو با ليلقي عليهم خطباً في هذا الموضوع وغيره

كلمات لرجال أميركا

﴿ بين كرنيجي والامبراطور غليوم ﴾ روي انه لما زار المستر كرنيجي الغني الاميركي المشهور الامبراطور غليوم ساله كرنيجي ان يزور الولايات المتحدة فيكون له فيها استقبال عظيم فاجابه الامبراطور انه لا يستطيع ذلك (لانهم يحتاجون اليه على الدوام) يعني حكومته ورجالها • فاجاب اذا اذنت لي قصصت على جلالتك قصة صغيرة فقال قل. فقال كان في اميركا غني كبير أصيب باعتلال فاضطر الى ترك اشغاله والسفر• وبعد ان غاب بضعة اشهر عاد الى بلاده وقال لمدير اشغاله « لله كم سرني ان تركت العمل كل هذه المدة) فاجابه مدير اشغاله « ولله كم سرّنا ذلك ايضاً » يعني كرنيجي ان رجال حكومة الامبراطور يسرهم ان يكون بعيداً عن سياسة الامة .وكان هذا الكلام بعد حادثة الحديث الذي نشرته الديلي تلغراف واقام المانيا واقعدها. فقهقه الامبراطور حتى بدت نواجذه لانه فهم الاشارة.

﴿ بين مورغن ومستخدميه ﴾ في ذات يوم دخل المستر مورغن الغني الاميركي المشهور الى مكتبه صباحاً وفي يده قفص فيه ببغاء محنط . واستمر ثلاثة ايام وهو اذا جاء المكتب في الصباح يجيء وفي يده ذاك القفص. وكان مستخدموه يتغامزون و يتساءلون ماذاك وفي اليوم الثالث ضاق احد المستخدمين ذرعاً فشجع نفسه وجمع قواه وتقدم الى المستر مورغن وساله متردداً ماهذا ايها السر. فرمى مورغن القفص من يده بعيداً وقال له بنزق كنتُ عالماً بانك ستعترضني وتسالني هذا السؤال • فانني راهنت احد اصدقائي على انني افعل في مكتبي ما اشاء وليس بين مائتي مستخدم فيه احد يسالني ماذا افعل الا واحداً وهو انت• فقد اكسبتني الرهان• ولكني اطلب منك ان لا تتداخل مرة أخرى في ما لا يعنيك.

وكانّ المستر مورغن يبغي ان يكون مستخدموه اصناماً .ولا نعلم هل هذه الرواية صحيحة ام لا • ولكنها اذا كانت صحيحة فذلك المستخدم جدير بالترقية والمكافأة لا بالزجر والتأنيب لانه كان اجرأ واذكى من جميع رفاقه

احدى روايات مكسيم غوركي

الكاتب الرومي المشهور الذي يعد من زعماء الثورة الروسية الاخيرة ومن اكبر كتاب روسيا

ملفا

ذكرنا في غير هذا الموضع من هذا الجزء اننا سنطبع تتمة رواية (مريم قبل التوبة) على حدة ولذلك لم ننشرها فيه واننا سنشرع في نشر رواية جديدة . وحيث اننا نشتغل الآن بها فقد رأينا ان لا نترك هذا الجزء خلواً من رواية لما نعلمه من ولع بعض القراء بالروايات . ومن حسن الحظ اننا وقعنا قبل سفرنا من فرنسا على روايات للكاتب الرومي المشهور مكسيم غوركي وطالعنا بعضها في الطريق بين جنوى والاسكندرية . فاخترنا منها رواية (ملفا)

مكسيم غوركي وحياته العجيبة اسمه الحقيقي الكسي بشكوف ولد في مدينة نجني نوفوكورود ولا يعلم تاريخ مولده ولا احد يعلمه وانما المظنون انه في سنة ١٨٦٨ وقد مات ابوه وامه وعمره تسع سنوات فاستخدم في محل صانع احذية ثم فرّ منه واستخدم في محل مصور وانتقل منه الى باخرة استخدم فيها لغسل الصحون . ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره حتى كان قد عمل في جميع الحرف الا الكتابة والمطالعة . فاراد الانصباب على الدرس فسافر الى قزان ولكنه اضطر فيها ان يكون خبازاً وحمالاً وماسح احذية ومتشرداً ومتسولاً . واذ لم يقدر على الانقطاع الى الدرس عمد الى الانتحار فانتحر ولكنه نجا ولم يمت فاخذ بعد نجاته يطوف في روسيا مرافقاً للطبقات الدنيا فيها وعائشاً معيشتهم . واستمر على ذلك حتى سنة ١٨٩٢ وهي السنة التي نشر فيها اولى رواياته وعنوانها (الحب القتال) فالتفت الجمهور اليه . وفي العام التالي نشر روايته (في الظلام) فنال بها الشهرة وطيب الاحدوثة بين الادباء . ومنذ ذاك الحين جعل التأليف دأبه فطارت شهرته في الافاق وتُرجمت جميع رواياته الى جميع اللغات الاوروبية . وفي سنة ١٩٠٥ بدأت الثورة الروسية الأخيرة فقبضت عليه الحكومة الروسية بحجة انه يثير بكتاباته ونشراته افكار الشعب فسجنته في سجن القديس بطرس وبولس ولكنها لما رأت قيام العالم المتمدن

قومة واحدة لطلب الافراج عنه واطلاق سراحه تسامحت واطلقت سراحه فكانت اعقل وافضل من حكومة اسبانيا في حادثتها مع فرر

☼ طريقته في رواياته ☼ طريقة غوركي في رواياته وقصصه طريقة نفرد بها . فانه يجعل كلامه قاصراً على الطبقات الدنيا . فابطال جميع رواياته تقريباً انما هم لصوص ومتشردون ومهربو بضائع ومتسولون ونساء ساقطات وحمالون وبحارة وعملة الخ . ولا يخفى انه عاشرهم جميعاً وعاش معيشتهم فهو يصور اخلاقهم وعاداتهم تصويراً طبيعياً ثم ينسب اليهم اعمالاً جميلة بعضها عظيم لا يصدر الا عن العظام . وهو يريد بذلك تحبيبهم الى الناس والدلالة على قابليتهم للاصلاح وحث الحكومة والطبقات العليا على الالتفات اليهم والعناية بشؤونهم .وهو وتولستوي في هذا على اتفاق .ولكنه ونيتشه على طرفي نقيض فيه .

☼ ملفا ☼ وأبطال رواية ملفا التي سنعربها صيادون ومتشردون وفيهم امرأة ساقطة هي اهم شخص في الرواية . وبعد هذا التمهيد نشرع في تلخيص الرواية

الفصل الاول

كان البحر ذلك اليوم يتنفس ويتنهد بينما تضغط عليه نسمات المساء و يداعبه حر الشمس . وكان على شاطئه رجل متمدداً يدعى فاسيلي لكوستر وهو وكيل مصائد تاجر السمك كريبتشتشيكوف . وكان ينظر وهو متمدد في جهة شبح بعيد بدا في عرض البحر و يبتسم مسرة. ذلك لان القادم(ملفا) وهـذا هو الزورق الذي اعتادت ان تزور عليه فاسيلي . وقد خيل اليه انه يسمع قبل وصولها اليه صوتها الرخيم وضحكتها الدرية ويرى عنقها الفتان

ولكن لم يكد يدنو الزورق حتى اجفل فاسيلي واستوى جالساً على الرمل . ذلك لانه ابصر في الزورق رجلاً مع ملفا . فمن عساه ان يكون . أتراه سريكيا ؟ كلا لان سريكيا احذق في فن التجذيف

فلم يستطع فاسيلي صبراً فصاح ــ من هذا

فاجفلت من صوته طيور البحر التي كانت عائمة على سطحه والتفتت كأنها تصغي اليه

فاجاب صوت من الزورق ــ هذا انا

فقال فاسيلي ومن معك . فكان الجواب من الزورق قهقهة شديدة

فعربد فاسيلي وصاح يا للشيطان ثم بصق من غضبه

وكان الزورق قد ازداد دنواً من الشاطىء فعاد فاسيلي الى سؤاله بنزق ــ من معك

فاجابته ملفا ضاحكة تمهل فستعلم

ثم ان ملفا صاحت برفيقها ان اضرب ضربة من هـذه الجهة • فضرب رفيقها البحر بمجذافه فانجذف الزورق الى الشاطىء ووثب منه شاب مسرعاً الى فاسيلي وقال له ــ سلام يا ابتاه

فذعر فاسيلي اذ عرف ابنه فقال هذا انت يا يا كو • وقد غصَّ بريقه حين عرفه فتعانق الاب والابن ثلاثاً ولكن الناظر اليهما كان يرى اضطراب الأَب في هذا الملتقى على غيرموعد

ثم قال الأَب • هذا أَنت ؟ ان نفسي كانت تحدثني بقرب مقدمك • قال هذا وهو يداعب لحيته بانامله ويحاول ان يلقي نظره الى ملفا • ولكنه كان يرى ان ابنه ناظر اليه . وكان مسروراً بان يرى ابنه شاباً قوياً جميلاً ولكن وجود ملفا كان ينغص سروره هذا . فاخذ يلقي على ابنه السؤال تلو السؤال عن مزرعته وزوجته والاضطراب بادٍ في وجهه

فقالت ملفا . يظهر ان سرورك بملقى ابنك جعلك في هذا الاضطراب حتى ذهلت ان تدعوه الى الكوخ وتقدم له شيئاً

فنظر فاسيلي الى ملفا فلم يرَ لها في ذلك اليوم ما كان يعهده فيها من الخفة والبشاشة الا انها كانت اجمل واغض منها في سائر الايام . وكانت في هذا الحين تطحن نوى البطيخ باسنانها البيضاء الدقيقة وعيناها الصافيتان الحادتان تنتقلان بين الأَب وابنه

اما يا كو الابن فلم يكن به شيء من الاضطراب بل كان يضحك • فقطع ابوه ضحكه ونظراتها بقوله وقد اتجه نحو الكوخ • انني راجع بعد حين فاجلسا في الظل لاذهب واستقي الماء من البئر لطبخ السمك وحسائه

ثم تناول اناء كان على الارض بجانب كوخه وتوارى به وراء شباك الصيد المنشورة هناك

فاتجه يا كو وملفا نحو الكوخ ثم نظرت ملفا الى يا كو بحنو وقالت : قد جئت بك ايها الشاب الى ابيك فاصبحتَ عنده. فنظر يا كو الى ملفا فاتقدت عيناه وانار اتقادها وجهه المزين بلحية كستنائية صغيرة واجاب . نعم صرنا عنده . ما اجمل هذا المكان والبحر المحيط به • فقالت نعم ولكن كيف وجدت اباك هل رأيت انه قد هرم • قال كلا فانني كنت اتوقع ان أَراه اشدهرماً وعجزاً فاذا به قوي كالسنديانة القوية . قالت منذ كم سنة لم تره • قال لما فارقنا وترك القرية كنت في السنة السابعة عشرة

ثم دخلا الكوخ وكانت البسط المبسوطة فيه قذرة فتكاد تنتن منها الاسماك المملحة

الملقاة عليها . وكان هواء الكوخ شديداً على الصدر . فجلس ياكو على جذع شجرة في الكوخ وجلست ملفا على اكياس بازائه و بينهما برميل كان يتخذه فاسيلي كائدة . واخذا ينظران احدهما الى الآخر وهما ساكتان . ثم قالت ملفا هل تبغي ان تجد عملاً في هذه الجهات وتقيم فيها . قال لا أعلم ولكنني ارغب في ذلك اذا كنتُ أجد عملاً . قالت وفي صوتها لهجة التأكيد ستجد وانا اعدك بذلك

ثم أخذت ملفا تطيل النظر الى ياكو وتتبين ملامح وجهه . فاخذ ياكو يمسح بكم قميصه العرق الذي كان ينضح من وجهه وهو يتساءل مامعنى تلك النظرات السرية التي كانت تلقيها تلك المرأة اليه. وكانّ ملفا أدركت مافي نفسه فاخذت تضحك

ثم قالت لابدّ ان امك عهدت اليك ان تبلغ الى ابيك شيئًا غير السلام والتحية . فعبس ياكو وأجاب . نعم ولكن مامرادك بهذا السؤال . فاجابت لاشيء. واستمرت تضحك . وكان ياكو يتألم من ضحك ملفا كلما ضحكت و يتساءل هل هذا غنج ودلال ام شيء آخر . ثم تذكر ماأوصته به امه فصرف وجهه عن تلك المرأة واصبح ينفر منها .

ان امه قالت له قبل رحيله الى ابيه وهي تبكي : قل لابيك اكراماً للمسيح لاتتركني وحدي . لقد مضت خمس سنوات وهو هناك وانا هنا وحدي . فقل له ان الهرم بدأ يدبّ اليّ وانني اكاد اصبح عجوزا . قل له اكراماً لله انها على الدوام تعيش وحدها وتشتغل وحدها.

ولما زودته امه بهذه الوصية في آخر القرية حين خرجت لوداعه لم يبال كثيراً بهذا الكلام . اما الآن وقد رأى ملفا وهي تضحك وتستمر في الضحك فقد احسّ بحنان شديد وشفقة على امه وكاد يثب على ملفا و يهينها

ولكن هنا دخل فاسيلي وفي احدى يديه سكين وفي الأُخرى سمكة كبيرة تختلج وقال هاءنذا ولكن عليّ ان اوقد النار اولاً ثم اعود اليكما . ثم قال لياكو وهو يخفي اضطرابه قد شببت وصرت جميلاً الآن ياياكو . ثم خرج

اما ملفا فانها استمرت تطيل النظر الى ياكو و ياكو يغض طرفه وكانت لاتزال تطحن نوى البطيخ باسنانها الجميلة . فاخذ ياكو يقول في نفسه انهما كليهما اي فاسيلي وملفا يتغذيان جيداً ههنا لان دلائل العافية والصحة على وجهيهما . ولكنه احس بضيق في نفسه من هذا السكوت فنهض وقال انني ذاهب لاجيء بكيسي الذي تركته في الزورق ثم خرج دون ان يلتفت الى ملفا .

وفي هذا الحين عاد فاسيلي وجلس في المكان الذي كان ابنه جالساً فيه ثم الوى نحو

ملفا وقال بلهجة الرجل المستاء : كيف قدمتِ معه الى هنا . وماذا اقول له ٠ وكيف تكونين معي هنا بازائه ٠

فاجابت ملفا كانها تمزح — لقد جئت كما ترى .

قال ماهذا بجواب فانك تعلمين انني متزوج وزوجتي في المنزل ٠ وهذا ابنها ٠ فلا افهم كيف فعلتِ ذلك.

قالت وماذا تريد ان افهم من كلامك هذا . هل تظن ان وجودي هنا يهمني ٠ انني احب ان تعلم انني لست بحاجة الى احد

ثم انها القت نحوه نظرة غضب وانفة ٠ ونقلت بعد ذلك ملامح وجهها من الغضب الى الانبساط والضحك وقالت : كم جاش الضحك في نفسي حين رأيتك امامه مضطرباً هذا الاضطراب . ولكني من حسن حظك قد ملكت نفسي

فقال ما كان ينقص غير هذا

ثم انه سمع وقع قدمي ابنه قادماً فسكت ٠ فدخل ياكو يتأبط كيس ملابسه ونظر شزراً الى ملفا حين دخوله ٠ فلما جلس قال له ابوه وهو يبتسم تكلفاً ٠ هاقد اتيت اليَّ. ولكن ما الذي حملك على المجيء الى هنا

فاجاب ياكو لقد كتبنا اليك فلم تجاوبنا ٠ قال ابوه لم يصلني كتابكم وانني لفي عجب من ذلك ٠ فقال ياكو فانت تجهل اذاً حالتنا ٠ ثم نظر الى ابيه نظرة حذر وشك . فاجاب فاسيلي لاشك في انني اجهلها لانه لم يردني منكم كتاب .

فاخذ ياكو حينئذ يشرح لابيه حالتهم في المزرعة (١) فقال له ان باب الرزق اصبح ضيقاً فيها . فان الفرس مات وما كان لديهم من القمح نفد منذ شهر فبراير وكادت البقرة تموت ايضاً لان علفها قد نفد ايضاً فباعوا ثلاثة خرفان وابتاعوا بثمنها علفاً ثم كتب هو الى ابيه كتاباً يطلعه فيه على رغبته في السفر اليه ليعمل ويكتسب مايسد حاجتهم

(١) في الاصل (العزبة) وهذا هو اسم المزرعة في روسيا ومن الغرابة ان يكون هو اسمها ايضاً في مصر